٥٢٢

522

دار م. النحاس

HARLEQUIN

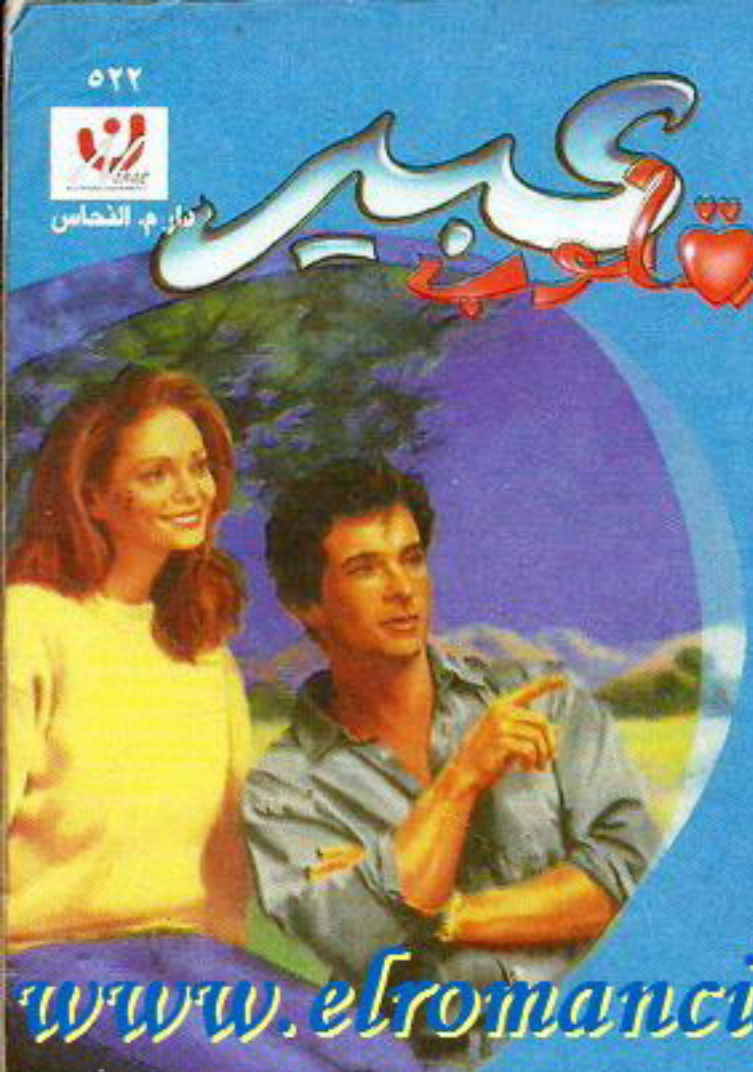

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

عاصفة الحب

صوفي وستون

عاصفة الحب

صوفي وستون

لقد انقذ بول برانكو حياة ميريندا من الاخطار التي كانت محدقة بها... ولكنه الآن، وبعد ان انقذها، يؤكد بانها تحاول ان تغير مجرى حياته وترشده إلى الطريق المستقيم.

بينما وبالمقابل كانت ميريندا تعتقد انه رجل من الصعب الوصول إلى قلبه لنظرته التي تختلف اختلافاً كلياً عن سواه. فكيف ستتوصل في النهاية للفوز بذلك الرجل الذي يصعب ارضاؤه؟

«إنني لا العب عندما يوجد الحب.»

قال بول دون مبالاة: «كلنا نلهو باسم الحب ولا يمكننا ان نتجنب مثل هذا الامر الطبيعي.»

اجابت ميريندا: «لا اصدق ذلك.»

نظر إليها بموضوعية وقال بلطف خطير: «انك فعلاً ساذجة. اذاً، اخبريني كل الذي تعرفينه عن الحب يا صغيرتي.»

صوفي وستون

ولدت الكاتبة صوفي وستون في لندن، وكانت كثيرة الترحال بطبيعتها، كما ان أول محاولاتها في الكتابة بدأت في سن الخامسة. نشرت قصتها الأولى عندما شفيت من مرض أصابها، فاعتقدت بعد ذلك انها سترتاح وتتوقف عن التنقل والسعي من بلد إلى آخر. لكن اعتقادها كان يستحيل تنفيذه وهي التي تهوى السفر والذي يمكّنها من كتابة مواضيع كثيرة وقصص جديدة.

٥٢٢

خلوب

khouloub Abir 522

عاصفة الحب

صوفي وستون

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

أخذت الرياح الهوجاء تهز مصراعي النافذة محدثة اصواتاً مخيفة، فشبكت ميريندا ذراعيها حول نفسها وهي ترتجف، وتحاول جاهدة في نفس الوقت ان تقنع نفسها بأنها خائفة مما تحدثه هبوب العاصفة من اصوات مخيفة تقشعر لها الابدان.

ثم قالت بصوت عالٍ تحاول ان تطرد الخوف عنها، مع انه لم يكن هناك معها من احد في هذا البيت الصغير: «انها المغامرة التي طلبتها يا فتاتي، فها انت فيها، استجمعي قواك وتمتعي بها.»

عصفت الرياح من جديد محدثة اصواتاً مرعبة انها من دون شك، صوت تكسير أغصان شجرة في الغابة التي تحيط بالبيت، قد سقطت عن الشجرة وارتطمت بالأرض فأحدثت صوتاً رهيباً. وتساءلت، ماذا لو سقط غصن من تلك الأغصان الضخمة على السطح الحديدي البسيط الصنع للبيت؟

ارتعشت عندما فكرت بذلك وتمنت لو أن والدها يعود. فقد ترك البيت في الصباح الباكر أمس غير مبالٍ بهواجس وخوف ميريندا بأن الجو ينذر بعاصفة شديدة، وذلك لأنه كان قد خطط لهذه الرحلة في النهر بقاربه منذ اشهر. وحمّل القارب بالمؤن والكتب المترجمة وكله عزم وتصميم ليقوم بهذه الرحلة، دون ان يفكر ويخاف على سلامته الشخصية ولا لتوسلات ابنته القلقة عليه.

عاد مصرعا النافذة يهتزان بقوة فارتجفت كل اعضاء ميريندا، وشعرت في نفس الوقت بشيء قد لمس قدمها، فقفزت من مكانها بخوف شديد، ونظرت إلى الأسفل بحذر، ذلك لأنها كانت قد تعلمت خلال مكوثها في الغابة لخمس سنوات خلت، ان تأخذ حذرها من تلك الحيوانات الصغيرة التي قد تلمس قدمها.

لكن خوفها تلاشى عندما وقع نظرها على احدى الهررة الصغيرة التي ولدت حديثاً، فضحكت ضحكة خفيفة وحملتها بين يديها. وقالت لها: «مرحبا يا صغيرتي، هل اضعت مكان امك الهرة؟»

كان عمل الهرة الأم، ان تنقل صغارها طوال النهار من الباحة الخارجية للبيت إلى مكان ما اختارته في اعلى التلة. وكان جاو قد اخبر ميريندا بأن هذا العمل الذي تقوم به هذه الهرة، هو إحدى الدلائل التي تنبىء بقدوم العاصفة، وقد تنبهت بغريزتها بما قد يحدث فانتقلت إلى مكان اعلى.

اما تلك الهرة الصغيرة، فيبدو عليها بأنها لم تدر انهم قد تخلوا عنها، فأخذت تتودد إلى ميريندا وتطلق مواء وهي تتحسس برأسها الصغير وجهها تلتمس الدفء والحنان، ثم وقد اطمأنت اخذت تخرخر بصوت خفيض.

فقالت لها ميريندا: «يسعدني ان اراك مرتاحة ومطمئنة.» ولم تخرجها من البيت بل شعرت بأن هذه الهرة الصغيرة قد تكون خير مؤنس لها في وحدتها.

كان البيت الصغير يغرق في الظلام، ذلك لأن جاو كان قد اعطى تعليماته لها قبل ان يرحل، ان تغلق النوافذ بمصاريعها وان تفصل التيار الكهربائي تجنباً للحريق

الذي قد يحدث من جراء تلك العاصفة الهوجاء. واضاءت الشموع التي كان لهيبها يتراقص ويكاد ان ينطفىء نورها كلما اهتز البيت الصغير من جراء هبوب العاصفة المجنون.

تذكرت كلام جاو وهو يطمئنها قائلاً: «لا تخافي، ستكونين على احسن مايرام.» لكنها شعرت بأنه لم يكن بما فيه الكفاية مطمئناً عليها. فقد بقي معها وقتاً طويلاً ولم يفارقها الا بعد ان الحّت عليه كثيراً. لأن لديه عائلة قرب النهر عليه ان يرعى شؤونها.

وكانت قد قالت له: «طبعاً سأكون على احسن ما يرام، لقد تم بناء المدرسة هنا لأنه مكان امين ومريح. لا تقلق علي، فلن يحصل لي اي مكروه يا جاو. فلطالما عانينا من عواصف شديدة مثل هذه قبل اليوم.»

والحقيقة، انه منذ مجيئها مع والدها إلى هذا المكان الموحش، واجها اشد الرياح والعواصف الرعدية والمصحوبة بأمطار غزيرة لا تهدأ حتى تحول الأرض إلى وحول يصعب المشي عليها، ومع ذلك كله نجت من تلك الكوارث الطبيعية. وكانت في كل مرة وقبل ان تهب تلك العواصف، تحتاط لذلك فتضع ألواح خشبية فوق السطح وتحتفظ بالمواد الغذائية... بينما كان والدها لا يبالي بالخطر المحدق بهما، ولا يتكلم سوى بالمهمة التي هو بصددها. تذكرت ميريندا ذلك، لكنها لم تذكر بأنها واجهت عاصفة مثل هذه التي تواجهها الآن بقساوتها وضراوتها.

كان جهاز اللاسلكي الوحيد لديها قد تعطل قبل خروج جاو. حاول اصلاحه بشتى الطرق، ولكنه لم يتمكن من ذلك، فأقنعته عند ذلك ميريندا بالرحيل لأن عائلته بحاجة إليه

اكثر منها. ووعدها بأن يرسل لها شخصاً يقوم باصلاحه، ولكن مع ازدياد هبوب الرياح والعواصف قطعت ميريندا الامل.

قالت بعد ذلك للهرة الصغيرة: «اذاً، أنا وأنت بمفردنا الآن.»

حاولت ان تسترق النظر من شق في مصراع النافذة على الممر الذي يؤدي نزولاً إلى القرية، ووجدته مثل شلال جارف من مياه الأمطار، وتذكرت انه من قبل ساعة واحدة، كان مايزال ممراً طبيعياً.

أبعدت نظرها عن النافذة وتذكرت انها قد شاهدت مثل هذه الحوادث من قبل، ولكنها لم تكن بمثل هذه السرعة والقوة. كما انها لم تعتد ان تبقى بمفردها في بيت المدرسة هذا، خاصة عندما يكون والدها غائباً عنه. وهو في اكثر الأحيان يتغيب في احدى مهمات المدرسة... وفي هذه الاحوال يتولى احد رجال المدرسة مسؤولية هذا البيت.

وادركت اخيراً ما الذي يجب عليها ان تفعله حيال هذه الكارثة الطبيعية، عليها ان ترتدي ملابس واقية وتأخذ معها كيساً تضع فيه بعض المواد الغذائية الضرورية، ومن ثم تشق طريقها صعوداً قبل ان يفيض نهر ريو فردي. لكن المشكلة هي في ان تكون هذه العاصفة قد اخفت معالم كل الدروب التي تعرفها، وغمرتها بمياه الأمطار لدرجة انه يتعذر عليها اجتيازها. كما انها ليست من السكان الاصليين لهذا المكان حتى تتمكن من اجتياز طرق او ممرات اخرى.

سألت عند ذلك الهرة الصغيرة: «ما رأيك؟ هل نغرق في

هذا البيت نتيجة فيضان النهر؟ او نخرج ونخاطر بأنفسنا ونتحمل الجوع ولسعات الحشرات، او ربما نضيع في هذه الغابة لعدة اشهر دون ان يدري بنا احد؟»

فأغمضت الهرة الصغيرة عينيها دون حراك وكأنها مرتاحة لوجودها مع ميريندا.

قالت ميريندا: «شكراً لنصيحتك يا صغيرتي.»

ثم اخذت تداعب مؤخرة اذن الهرة وشعرت بأنها افضل حالا. وأحست بزوال ذلك الخوف الذي تملكها سابقاً، وقد ادركت ان بقاءها في هذا البيت افضل بكثير من ان تتخبط في وحول الغابة دون ان تعلم إلى اين ستصل في مسيرها.

لكنها قالت لنفسها بصوت عالٍ: «انه ليس من فائدة في ان اتكلم مع هذه الهرة الصغيرة. فالعاصفة قد تمر بسلام وقد لا تمر، لكن هذا ما لا يبدو في الافق، والأفضل ان احضر الأشياء الضرورية استعداداً للخروج في أية لحظة.»

لم يكن الأمر صعباً، فقد كانت حقيبة الظهر مجهزة لحالات الطوارىء وفيها الاسعافات الأولية والضرورية. فأخذت تتفحص محتوياتها بينما كانت الهرة الصغيرة تتعلق بكتفها.

كان في داخل الحقيبة، مأكولات مجففة، فيتامينات، واقراص لتطهير المياه الملوثة، وبعض الادوات الضرورية. اخرجت من الحقيبة اكثر انواع الأدوية، لقد رأت انها ستحتاج إلى الطعام اكثر في ما لو اضطرت ان تخرج من هذا البيت.

كانت تعرف ايضاً ما يجب عليها ان ترتدي في مثل هذه

الحالة، فقد ارتدته في أول اسبوع عند وصولها إلى هذه الغابة، ليدربها العالم الاميركي رولف بولس.

رفض والدها رفضاً قاطعاً وبغضب شديد في ان يأخذها رولف إلى داخل تلك الغابة الموحشة ليعلمها كيف تشق طريقها بين تلك الاشجار الضخمة التي تخفي قبة السماء من رؤيتها. وعلمها كيف تستعمل البوصلة وكيف تتبع الخريطة الأغرب من اي شيء شاهدته في حياتها، والتي كانت عبارة عن رسم زيتي على القماش.

تذكرت ميريندا كيف ان هاري، اي والدها، لم يرغب ولم يرضَ لها بالمشي في تلك الغابة، وكيف انه ولسبب لم تعرفه صب نقمته على تلك الخريطة.

وقد قال وهو يسحبها من يد رولف قائلاً: «انها من اعمال رجل شرير.»

رفع حينها ذلك العالم الاميركي حاجبيه تعجباً وقال: «انها خريطة جيدة، ومما لا شك فيه، ان الذي رسمها يتمتع بخبرة واسعة.»

بدا عند ذلك هاري لاين قاسي الملامح كما لم تره ميريندا هكذا من قبل وهو يقول: «لا يوجد عنده كرامة.»

ابتسم العالم الاميركي وقد اتضح له سبب انفعال هاري من هذه الخريطة، وقد كان من عادته ان يحافظ على هدوء اعصابه امام ميريندا.

تابع حينها هاري يقول: «لقد استطاع ان يملك هذا المكان، عندما اضطرت عائلة والده ان تدفع له مبلغاً من المال ليرحل عن ريو، فهم لا يريدون ان يتعرفوا عليه لأنه رجل شرير.»

هز العالم الاميركي بكتفيه غير مبالٍ وقال: «ومع ذلك، انه يقوم برسم خرائط جيدة.»

حاول هاري الاجابة، ولكنه كأنما رجاحة عقله منعته عن ذلك، فحول نظره إلى ميريندا قائلاً: «انك لست بصدد السياحة هنا، بل لأجل العمل. والمدرسة تدفع لك راتباً لذلك، فأنت وفي هذه الحالة مدينة لهم، حتى لو انك لا ترغبين بما يجب عليك من اعمال وواجبات.»

تذكرت كيف تمنعت في البداية ان تنضم إليه في المدرسة وكيف انه أصرّ على موقفه لم يعد يكلمها الا في الأمور العملية فقط.

تنهدت وهي تتذكر كل هذه الأمور، انه ليس بالوالد الذي يقام معه اية روابط ابوية، فهاري لاين رجل مغرم بأعمال التعليم التي تطلبها منه المدرسة، كما انه يستخدم ويستغل اياً كان لاجل عمله هذا، من المعلمين، إلى فرق الكشافة الهنود العابري السبيل، وإلى هؤلاء القرويين المحليين الذين لا حول ولا قوة لهم. فلمَ تأمل ميريندا ابنته ان يعاملها بطريقة مختلفة؟

ازاحت ميريندا تلك الافكار الموجعة والتي تثير الشفقة من رأسها. لقد كانت مجازفة عليها ان توافق على اقتراح والدها لتنضم إليه في مدرسته تلك. كما ان الجميع حذرها من مغبة ذلك، لكن الفضول كان اقوى منها، والفضول وحده هو الذي جعلها توافق على دعوته. بالاضافة إلى تلك الرغبة للانضمام إلى شخص من لحمها ودمها، وقد تعلمت الكثير من تلك المجازفة التي اقدمت عليها، واهمها ان العاطفة التي من المفروض ان تكون ما بينها وبين والدها، لا وجود لها اطلاقاً.

لقد اخطأت في مجيئها ولن تدع مثل هذا الخطأ يتكرر مرة اخرى. فهي على كل حال، عاشت اكثر سنوات عمرها دون عاطفة عائلية، ومع ذلك استطاعت ان تستمر في حياتها. اذاً، لا حاجة لها لبقائها هنا اكثر من ذلك.

ثم قالت بصوت عالٍ: «ذلك طبعاً، إذا تمكنت من الخروج من هذا المكان ونجوت بنفسي هذه الليلة.» وسمعت عندئذ صدى غصن آخر وهو يسقط بقوة على الأرض قريباً من البيت.

وضعت الهرة الصغيرة على السرير، واخذت ترتدي الملابس المناسبة للخروج إلى تلك الغابة الموحشة. ارتدت سروالاً قطنياً وكنزة صوفية، وسترة سميكة.

كان عليها ان تنتعل ايضاً جزمة عالية، لتتمكن من العبور والسير على الأرض الموحلة بمياه الامطار، وذلك في حال اضطرها الأمر ان تأخذ الغابة الموحشة طريقاً لها. لم تكن الجزمة التي انتعلتها من النوع المريح، ولكنها كانت افضل من ان تتعرض إلى لسعات الحشرات المؤذية التي قد تصادفها في طريقها.

وبعد ذلك قالت وكالعادة تكلم نفسها بصوت عالٍ: «وماذا الآن؟ سأحتاج إلى مياه للشرب طبعاً، وسكينة على ما اعتقد. وماذا ايضاً يا ترى؟»

نظرت إلى نفسها في المرآة التي كان قد اهداها إليها جاو في العام الماضي، بالرغم من عدم موافقة والدها، ابتسمت بعد ذلك بسخرية لصورتها التي عكستها لها المرآة.

رأت شكلاً طويلاً ونحيلاً، وكأنها شبحاً ظهر فجأة في العتمة. وبدا شعرها البني طويل غير مرتب.

ثم كلمت صورتها التي عكستها المرآة: «لو لم يكن طويلاً هكذا، لكنت تبدين وكأنك صبي. اما ما ترتدينه الآن، فيبدو شكلك كالقرصان.» وبعد ان امعنت النظر طويلاً في ساقيها اللتين بدتا اكثر طولاً ونحافة، اخذت تضحك بصوت عالٍ، وقد خطر على بالها دور القرصان للممثل الشهير اورول فلين، وقالت: «لا تعتز كثيراً بنفسك يا اورول فلين.»

رفعت عند ذلك القطة الصغيرة واخذت تصدر مواءاً كأنها توافقها على كلامها.

تحولت فجأة سحنة ميريندا إلى قلق وقالت للهرة الصغيرة: «اعتقد بأنك جائعة.»

من المؤكد ان الهرة الأم لن تعود لاجل هرتها الصغيرة، فتابعت ميريندا تقول لها: «يا لك من يتيمة بائسة. فأنت وانا لدينا قواسم مشتركة.» ثم اخذت تداعب أذنيها الصغيرتين، وأخذت الهرة تخرخر بسرور. وتابعت ميريندا تحدثها قائلة: «إن اضطررت للخروج من هذا البيت، سأترك لك بعض الطعام. ولا يمكنني ان افعل اي شيء تجاه عائلتك، لكنني اتوقع عودتها اليك بعد ان تهدأ هذه العاصفة الهوجاء.»

ولكن الهرة المتيقظة، ادركت بغريزتها ان شيئاً ما جديداً سيحدث لها. فقد تناولت بعضاً من الطعام الذي قدمته لها، ولكنها ابتعدت عنه بعد ان وجدت ميريندا تعود إلى غرفتها.

قالت ميريندا بعد ان قرأت الشك في عيني الهرة الصغيرة: «من الصعب ان افعل ما تفكرين به.»

اخذت الرياح تصفر عند ذلك وقد توقف المطر، فاسترقت ميريندا النظر من النافذة لتجد ان الممر الذي يؤدي إلى

البيت لم يعد له اي وجود، فقد تغطى كلياً بالمياه الموحلة. فادركت انه لم يعد لها متسع من الوقت اذا كانت فعلاً عازمة على الخروج والصعود إلى مستوى اعلى من الأرض.

رفعت شعرها إلى الأعلى واعتمرت قبعة قطنية. اخذت القطة تموء وقد انباها حدسها بما كانت تفكر به ميريندا، فأرجعتها إلى مكان طعامها، لكن الهرة الصغيرة تجاهلته مرة اخرى وعادت إليها لتربت على جزمتها بتودد.

حملتها ميريندا بين يديها قائلة: «لن يعجبك الأمر في الخارج يا صغيرتي. فالطقس ممطر وعاصف وسيصبح الجو بارداً اكثر هذه الليلة، لذا اعتقد انك ستكونين هنا اكثر دفئاً وسلاماً.»

مدت الهرة رأسها الصغير لتلقي به تحت ذقن ميريندا كأنها ترجوها لتأخذها معها، فتنهدت ميريندا قائلة: «آه، حسناً، لقد نجحت، انما من المحتمل ان تضيعي ولن اتمكن من العثور عليك في تلك الغابة الموحشة. على اية حال، اعتقد انه لم يعد لنا من شيء سوى بعضنا البعض.»

كان يسيطر على ميريندا خوف شديد، فقد عاشت في تلك الغابة فترة طويلة، سمعت خلالها الأقاويل الكثيرة حول دخول أشخاص عديدين إلى الغابة ولم يرجعوا منها، كما انه لم يعرف سبب اختفائهم.

شعرت برهبة ووحدة قاتلة لم تشعر بمثلها من قبل، مع ان حياتها لم تكن حافلة بالاصدقاء. وعادت تفكر لو ان والدها لم يصر على سفرته تلك، ولو انه رجع إليها عندما بدأت تهب العواصف، ولو انها منذ البداية لم تأت إلى البرازيل وبقيت في بيتها الدافىء باطمئنان وسلام.

فقالت بصوت عالٍ: «لقد اخطأت بذلك، وعلي ان اتحمل هذا الخطأ في اختياري، ربما يحالفني الحظ اكثر في تلك الغابة الموحشة.»

ادخلت السكين الطويل في حزام سترتها، وتناولت البوصلة من داخل العلبة التي فوق الرف ثم تنهدت للقرار الذي عزمت على تنفيذه. لأنه باستطاعتها ان تجلس وتنزع عنها هذه السترة ثم تنتظر هدوء العاصفة، او ان تفعل كما فعلت الهرة الأم، وتنتقل إلى مستوى اعلى من الأرض. في كل الاحوال، اذا ارادت ان تنجو بحياتها، فما عليها سوى ان تخرج بسرعة من هذا المكان وفي الحال.

اخذت تفكر بوسيلة لتنقل فيها الهرة الصغيرة، وارتأت ان تضعها في قطعة قماش وتربطها حول عنقها.

«ستشعرينني بالدفء يا صغيرتي.»

استراحت الهرة مطمئنة في قطعة القماش، وقالت ميريندا بينما كانت تداعب رأسها الصغير: «لو أن هناك خريطة.»

ثم تذكرت تلك الخريطة التي كاد والدها هاري ان يمزقها عندما سحبها من يدي العالم الأميركي منذ سنوات عديدة. وكان قد سماها في ذلك الوقت، عمل من اعمال رجل شرير.

وبيأس، اخذت ميريندا تفتش عن الخريطة بين كتب الجغرافيا فوق الرف. انها لم ترَ تلك الخريطة منذ خمس سنوات، وقد يكون والدها قد مزقها.

ووجدت ما كانت تبحث عندما سقطت على الأرض مجموعة من الأوراق بينها الخريطة القماشية بالرسم الزيتي.

تذكرت عندما فتحتها بأن المواقع يشار عليها بكيفية توجيه البوصلة ايضاً.

فقالت عند ذلك للهرة بارتياح: «ربما بدأ يبتسم لنا الحظ، ذلك لأننا نوينا فعلاً على الخروج...» ثم اخذت تستطلع الخريطة وتقرأ اسماء المواقع التي جاءت فيها: «اوشاكوا، او لاديريا، او فازندا برانكو.»

ثم قالت تفكر وقد عادت بها الذكرى: «برانكو.»

لكن ذاكرتها كانت واهية ومشوشة، فهي تذكر انها سمعت بفازندا برانكو، لكن اين ومتى ولماذا، لا تتذكر ابداً. او حتى من الذي جاء على ذكرها، لكن من المؤكد انه ليس والدها.

عادت تنظر إلى الخريطة مرة اخرى، واكتشفت ان فازندا برانكو لا تبعد كثيراً عن هذا المكان، كما ان اسمها يوحي بأنها مزرعة. وقد كان بامكانها ان تلتقي بالبعض من اهلها لو كان الأمر طبيعياً وليس بصدد التعليم الذي جاء من اجله والدها. فهو لا يرغب برؤية من هم غير راغبين للاصغاء إلى توجيهاته، كما انه قد يكون بكل ما في الكلمة من معنى غير ودود وقاسي معهم.

فقالت ميريندا وقد وصلت بتفكيرها إلى هذا الحد: «اذاً، ربما لن يرحبوا بي.»

لكنها في الحقيقة لم تصدق ما قالته، ففي مثل هذه العاصفة، لا يمكن لأحد ان يرفض ايواء اي غريب كان، حتى والدها. والحقيقة، ان كل من التقت بهم من السكان المحليين، كانوا اكثر ضيافة وترحيباً من والدها.

وضعت بعد ذلك الخريطة في كيس بلاستيكي، واطمأنت

ان الهرة بأمان في مكانها، ثم وبقدمين مرتجفتين، توجهت إلى المطبخ وملأت زجاجتين من مياه الشرب. انها تعلم بأنها ستجد ما تشاء من المياه في الغابة، ولكن من اين لها ان تطمئن بأنها مياه عذبة صالحة للشرب. كما ان تلك الاقراص المطهرة طعمها رديء للغاية.

انكسر في تلك الاثناء غصن آخر كان لصداه وقع قوي اكثر من الآخرين، مما جعل ميريندا تجفل برعب شديد. فاستيقظت الهرة الصغيرة وحاولت أن تخرج من مكانها.

فقالت لها مؤنبة: «لا تبدأي بالمشاكسة الآن.» لكنها لاحظت ان صوتها كان يرتجف فأزعجها ذلك وقالت بصوت مرتفع: «ان الخوف لن يأتيك بأية منفعة.»

كان صدى تحطم الغصن الأخير مازال يتردد صداه وكأنه حسبما تخيلته ميريندا، يشبه صوت الانسان.

فقالت لنفسها: «لا تحاولي الآن ان تحلمي بالنجدة من احد ما، فلا احد سيخرجك من حالتك هذه الا انت.»

وبينما كانت تضع حقيبة الظهر على ظهرها، اخذت اوهامها تنمو اكثر فاكثر بأن ما سمعته هو صوت لانسان.

«يا للهول، انني اهذي، مع انني لم ارتطم بشيء بعد. هيا يا ميريندا، اضبطي اعصابك واخرجي في هذا الطقس العاصف، فكلما اسرعت في الخروج، اسرعت في الوصول إلى مكان اكثر اماناً.»

ووضعت الخريطة والبوصلة في جيب سترتها الطويلة ولبست كفيها، ثم اخذت نفساً عميقاً.

احدث الباب الخشبي القديم عندما فتحته صريراً مخيفاً، لكنها سرعان ما قفزت إلى الوراء بخوف شديد عندما تأكد لها ان تخيلاتها كانت صحيحة.

لقد سمعت صوتاً اجش يقول: «حتى ذلك العجوز المجنون لن يبقى في مثل هذا الاعصار الشديد.»

لم تستطع ميريندا ان تتفوه بكلمة واحدة، بل تراجعت إلى الوراء منكمشة على نفسها خوفاً من ان يتقدم صاحب الصوت إلى الداخل. حتى انه تملكها خوف من نوع آخر في ان تكون حواسها المضطربة تجعلها تتوهم ذلك، بينما في الواقع لا وجود لأي كان في الخارج.

وبحركة سريعة فتح الباب على مصراعيه، فتراجعت ميريندا إلى الوراء وقد مدت يدها إلى السكين في حزامها.

ظهر عند ذلك رجل طويل القامة يلتفت إلى الوراء وهو يقول لأحد ما: «هناك ضوء ولكن...» توقف عن الكلام عندما حوّل نظره إلى الداخل ليجدها امامه، وتابع قائلاً لا يصدق ما رأته عيناه: «ما الذي أراه؟»

كان يتكلم باللغة البرتغالية وبنبرة لم ترتح لها ميريندا، فحاولت ان تضبط اعصابها قائلة: «هاري لاين...»

لكنه قاطعها قائلاً: «ان ذلك العجوز المجنون لا يزال هنا.» ثم تراجع خطوة إلى الوراء وصاح على صديقه «هايتر، لقد كنت على حق، فهناك صبي في الداخل.»

صبي؟ لم تتأكد ميريندا بأنه كان يعنيها هي في البداية، الا عندما جاء صديق الرجل الطويل الذي كان اكبر سناً منه واقصر قامة.

ثم قال والقلق بادٍ على محياه: «لم اعثر على احدٍ في

غرف النوم... اين معلمك ايها الصبي.» وبالمقارنة مع الرجل الطويل، كانت نبرة صوته اكثر لطفاً.

«هاري... اي السيد لاين ذهب في رحلة نهرية صباح امس لأجل واجبه التعليمي.»

بان القلق اكثر على وجه هايتر فالتفت إلى الرجل الطويل القامة وقال: «انه يقوم بمثل هذه الرحلات ثلاث او اربع مرات في السنة، ثم يستقل مركبه إلى اماكن اخرى ليقدم للناس كتباً. وكان من عادته ان يبقى دائماً في ريو فردي... هل تعلم ايها الصبي إلى أين توجه؟»

كانت ميريندا تعلم جيداً إلى اين كان والدها يتوجه، إلى حيث الاماكن النائية عن هذا المكان، وكان قد انزعج عندما اضطرته الظروف لأن يتأخر بعض الوقت، لأنه كان يحلم دائماً بأن يقوم بمثل هذه الرحلة الخطرة.

اجابته ميريندا بعد ذلك: «إلى مكان اسمه امارال ومن هناك سيتوجه إلى قرية هندية.»

دهش هايتر وقال: «امارال!»

قال الرجل الطويل بلهجة قاسية: «متى ذهب؟»

خافت ميريندا من لهجته واخذت ترتجف قائلة: «صباح امس.»

«بمفرده؟»

نفت بإشارة من رأسها ثم قالت: «برفقة روبم مونتيرو وشقيقه اللذين كانا يقودان المركب، كما انه سيمر على لوتي ماير ليصحبها معهم.»

فقال هايتر عندما رأى علامات الاستفسار الغاضبة على ملامح الرجل الطويل: «انها من المدرسة الالمانية، وطبيبة ماهرة يا بول.»

فهمت ميريندا من نبرة صوت هايتر بأنه كان يحاول ان يسترضي بول الذي اخذ كرهها له يزداد اكثر واكثر.

قال بول عند ذلك بنبرة صارمة: «هل هناك جهاز لاسلكي في امارال؟»

اجابه هايتر: «لا اعرف، لكنني اشك في ذلك.»

التفت بول نحو ميريندا ونظر إليها نظرة اشبه بالطعنة الحادة قائلاً: «متى سمعت عن اخباره آخر مرة؟»

اجابته ببساطة: «لم اسمع عنه شيئاً، فهو لا يتصل عادة، وكما انه لا يهتم ابداً بسلامته.»

وكادت ان تقول له ولا حتى بسلامتي، لكنها تراجعت عن قول ذلك.

فقال بول: «على اية حال، لا ارى انه من الحكمة ان نرسل وراءه احداً للبحث عنه، فالعاصفة اسوأ مما هي عليه الآن قبل ان تهدأ نهائياً. كان من الأفضل له ان يرسي قاربه ويبحث عن ملجأ يحمي به نفسه من العاصفة.»

تساءلت ميريندا كيف ان بول الذي لم تلتق به من قبل او حتى لم تسمع والدها يتكلم عنه، كان يعرف عنه كل هذه المعرفة.

ثم نظر في عينيها قائلاً: «اين الآخرون، اعني الأولاد؟»

«لقد ارسلناهم جميعاً إلى منازلهم قبيل هبوب العاصفة.» قالت ميريندا ذلك وقد تذكرت كيف غضب والدها وعاند في البداية ارسال الأولاد إلى منازلهم، إلا أنها اصرت على موقفها إلى ان اقتنع والدها بكلامها.

قال بول: «حسناً، وماذا عن الآخرين؟»

«ذهبوا البارحة، عدا جاو مونتس الذي اصريت على ان يذهب منذ ثلاث ساعات مضت.»

تكلم عند ذلك هايتر: «نعم، لقد رأيته في المدرسة وهو في أمان الآن.»

تنهدت ميريندا بارتياح عندما سمعت كلام هايتر بأن جاو اصبح بأمان الآن.

«إذاً لم يعد هناك سواك، فماذا افعل بك يا ترى؟» قال بول ذلك وهو ينظر إلى ميريندا يتأملها. انه لم يعرف بعد بأنها فتاة وقررت هي ان تبقي ذلك في الكتمان.

قالت وهي تأمل ان يرشدها إلى المكان الأكثر اماناً: «فكرت ان اصعد إلى مستوى اعلى من هذه الأرض.»

ضاقت عيناه وهو يقول: «إلى اين بالضبط؟»

اجابته بغباء: «لا اعرف في الحقيقة، فكرت فقط ان اشق طريقي صعوداً، فأنا املك خريطة وبوصلة.»

بدت قسمات وجه بول خالية من اي تعبير، فأدركت ميريندا انه يتمتع بوجه وسيم، قسماته دقيقة ومعبرة، وعيناه داكنتان مع اهداب طويلة.

قطع عليها حبل افكارها قائلاً بلطف: «هل فعلاً لديك خريطة؟»

اجابته بصوت منخفض ومرتجف: «كان قد تركها احد العلماء، انما هاري قال ان هذه من اعمال رجل شرير. لقد وجدتها بين اورق مدرسية قديمة.»

«من اعمال رجل شرير؟ يجب ان ارى هذه الخريطة.»

تدخل هايتر محذراً: «بول...»

أسكته بول بوضع يده على كتفه وتابع يقول لميريندا بلطف: «يجب ان اراها.»

احتارت ميريندا في هذا الطلب، ولكنها رأت بعد ذلك أنه

ليس من سبب يدعوها لرفض طلبه. فتحت حقيبتها واخرجتها منها.

اخذ ينظر إلى الخريطة دون ان يبدو على وجهه اي تعبير يذكر، ثم اعادها إليها وقال بنبرة باردة: «احتفظ بها، فلا يوجد العديد من هذه الخرائط للغابة.»

عاد هايتر يتدخل مرة اخرى قائلاً: «بول...»

فالتفت بول إليه وابتسم ابتسامة مشعة قائلاً: «الاجدر بنا ان نتحرك، فالعاصفة ستزداد سوءاً. سنأخذ هذا الصبي معنا، وعندما تهدأ العاصفة سنجد لاين.»

لسبب أو لآخر، شعرت ميريندا من كلام بول الأخير، انه نوع من التهديد.

فقال هايتر: «إلى اين نأخذه؟»

«إلى فازندا برانكو.»

«ولكن...»

قاطعه بول بلطف: «هايتر.»

هزّ عند ذلك هايتر كتفيه دون مبالاة ثم قال: «على صهوة جوادك أم جوادي؟»

قالت ميريندا عند ذلك: «لكنني لا اجيد ركوب الخيل.»

قال بول: «اننا سنقطع اكثر المسافة سيراً على الاقدام. وعندما يضطرنا الأمر لركوبها، سأجعله يمتطي الفرس ليمانجا، لأنها قوية ويمكنها ان تحمل اثنين. كما ان هذا الصبي خفيف الوزن.»

كان بول يتكلم وكأنها غير موجودة بينهما، فقالت ميريندا بحذر: «انني اخاف ركوب الخيل.»

كادت ان تضحك من نظراتهما إليها، فقد بدا هايتر

مندهشاً، اما بول فقد اخذ ينظر إليها صامتاً كأنما على رأسه الطير. ثم قال بلطف: «لا يمكنني ان افعل شيئاً حيال ذلك ايها الرجل الصغير، فما عليك سوى ان تتحمل الأمر... اطفىء هذه الشمعة وهيا بنا.»

اطلقت ميريندا لا شعورياً صيحة صغيرة دلت على عدم رضاها، وكان هايتر قد ابتعد في تلك الاثناء، فالتفت بول إليها وقد رفع احد حاجبيه وهو يقول: «يجب ان تفهم ايها الصبي بأنني لست صديقاً لهؤلاء الاساتذة. كما انه هناك حساباً بيني وبين هاري لاين يجب ان اصفيه. يمكنك ان تأتي معنا وتنفذ ما نطلبه منك، او نتركك تحل مشاكلك بنفسك، فماذا تفضل؟»

شعرت ميريندا برهبة من نظرات عينيه القاسيتين، وقالت في نفسها تشجعها، انني لا اخشاه كما انني لا اخشى اي رجل في العالم. انه لا يملك مسدساً او سكينة حادة، ولا يهمني ما قد يفكره بي. ان الناس لا يتعرضون للخطر الا عندما يعطون اهمية لأشخاص امثاله وانا لا يهمني امره مطلقاً.

عصفت الرياح بقوة شديدة في ذلك الوقت مصحوبة بأمطار غزيرة لا تتوقف. وشعرت عند ذلك باذعان واستسلام لنظرات عينيه التي سلطها عليها، فقالت وقد اخفضت نظراتها: «سأقوم بما تطلبانه مني.»

«تعال اذاً.» ودفعها من كتفها بقوة.

كان هايتر قد امتطى صهوة جواده الآن وبدا ساكناً وهادئاً بالنسبة لميريندا، بينما كانت فرس بول تختلف تماماً بضخامتها وارتفاعها ولا تعرف الهدوء بل دائمة الحركة.

حاولت ميريندا ان تمتطي الفرس على الطريقة التي كانت

www.elromancia.com

تشاهدها في الافلام، وقلبها يرتجف خوفاً منها. لكنها لم تنجح في طريقتها، فقد تراجعت الفرس غاضبة وهي تصهل صهيلاً مزعجاً ترفض ان تقبل ميريندا.

تكلمت ميريندا مع الفرس بحنق: «اهدأي ايتها المتوحشة السافلة.»

قال بول وقد ادهشته اللهجة التي تتكلم بها ميريندا: «يا لها من لهجة يحكيها مدّرس من تلك المدرسة.»

التفتت نحوه بسرعة وكادت ان تفقد توازنها، وهي تتساءل في نفسها كيف امكنه ان يسمع همساتها الغاضبة في مثل هذا الطقس العاصف؟

ثم تابع بلهجة ساخرة بينما كانت ميريندا تنظر إليه وهي لا تدري ما تقوله: «من المؤكد ان الاساتذة لا يسمح لهم باستعمال الفاظ كهذه، ولا يفكرون بالذي تفكر به الآن... هيا، فليس امامنا متسع من الوقت.»

تشبثت ميريندا بسرج الفرس وقد هالها ذلك العلو المرتفع عن سطح الأرض، ثم حوّلت نظرها إلى بول ورأته ينظر إليها بعينين ضيقتين وقد بللت الامطار الغزيرة شعره الداكن. فتراءى لها للوهلة الأولى ان في عينيه غضب وحنق، ثم هز برأسه واخذ يضحك.

ثم سأل بلهجة ساخرة: «ما الذي تعلمتموه ايها الفتى قبل مجيئكم إلى هنا؟ الاسعافات الأولية؟ لا تخف من الفرس ليمانجا، انها تعرف ما تقوم به حتى ولو انك لا تعرف انت.»

كادت ميريندا ان تقول شيئاً لطيفاً، لكنها توقفت عن الكلام عندما شعرت بحركة خفيفة تمس خصرها. انها الهرة الصغيرة التي كانت قد نسيت وجودها تماماً، ورفعت

سترتها قليلاً لتسمح في ان يدخل الهواء اكثر إليها. انها متأكدة من أن بول ليس من صنف الرجال الذين يرحبون بمثل هذه الاشياء، فبلعت بريقها وقالت بلهجة هادئة: «لقد سبق وركبت بغلاً، ولكنني لم اجرب ان اركب اي فرس قبل مجيئي إلى هنا.»

لمعت عيناه وهو يقول: «عليك ان تخبرني في ما بعد، كيف توصلت لتكون في هذه الغابة الموحشة، وكيف رضي هاري لاين ان يتركك بمفردك.»

ثم قفز فوق صهوة الفرس ليجلس خلفها، فتصلبت وخافت ان يكتشف وجود تلك الهرة الصغيرة. لكنه من المؤكد انه كان لا يعيرها اي اهتمام الآن، لأنه حث الفرس لتقترب اكثر من هايتر، ثم قال وهو يشير إلى الاشجار جنوباً: «لنصعد في هذا الاتجاه وسأمشي في المقدمة.»

طأطأ هايتر برأسه مذعناً وقد بدت التعاسة على ما قاله بول، ويبدو انه لم يصادف احداً يعترضه في حياته على ما يطلبه ويريده.

وجدت ميريندا نفسها تفكر بيأس في طريقة ما تواجه بها غطرسته وتحديه، لكن كيف يمكنها أن تفكر في ذلك الآن، خصوصاً انه وهايتر انقذاها من اجتياز تلك الغابة الموحشة التي تقشعر لها الابدان.

انها تكرهه وتكره الظروف التي شاءت ان تكون نجاتها على يديه، كما انها لن تدع اية فرصة تفوتها لتظهر مدى ازدرائها وكرهها له، تماماً كما هو شعوره نحوها الآن.

الفصل الثاني

بدأت الرحلة مثل كابوس مزعج على قلب ميريندا، فبعد مضي وقت قصير، شعرت بألم شديد في قدميها. ولم يظهر على بول انه احس بما كانت تشعر به، فعندما كانت تتحرك كل مرة لتسوي من جلستها فوق صهوة الفرس، كان يسمعها بعض الشتائم ودائماً بصفة المذكر لا المؤنث.

يبدو انه وهايتر يمكنهما التفاهم دون ان يتلفظا بكلمة واحدة. فقد كانا يوجهان الجوادين صعوداً في تلال متعرجة ولزجة، لدرجة انه لا يمكن لميريندا بأن تفكر في ان تقطعها في الأيام المشرقة والصافية، فكيف في جو عاصف وممطر كهذا؟ خافت وارتجفت أكثر عندما بدأت الحجارة الصغيرة تتساقط من اعلى التلال تقذفها الأمطار الغزيرة، فأسرع يمسك بها بطريقة مؤلمة ليهدىء من روعها، حتى لا تعاود الكرة بعد ذلك.

كانت الغابة مظلمة لدرجة انه لا يمكن للمرء ان يعرف ليله من نهاره، بسبب كثافة الأشجار التي تحجب الرؤية. وبالرغم من كرهها له، فقد كانت معجبة به وتدهشها طريقته في الاهتداء الى الهدف الذي يقصدونه، وكان هايتر يبدو متردداً في بعض الأحيان، بينما هو فلا.

كبح فجأة زمام فرسه ليقول لهايتر: «امامك ساعة قبل ان ينبلج الصباح.»

بدا القلق على وجه هايتر، ثم اخرج من جيبه جهازاً

لاسلكياً، وكان يتردد في الغابة صدى اصوات مخيفة يتعذر للمرء معرفتها، ويصدر من مكان ما، صراخ مزعج لببغاء، لم تخف ميريندا منها لأنها كانت معتادة عليها.

بدأ هايتر محاولة الاتصال بواسطة جهاز اللاسلكي، انما دون جدوى، فقال بعد ذلك: «ما زالت الخطوط مشوشة.»

قطب بول جبينه قائلاً: «امامك ساعة من الوقت لتصل الى القمة.»

ظهر القلق اكثر على وجه هايتر ثم قال: «بول، عليّ أن أعود، لأنهم سوف يحتاجون إلي عندما يبدأون باحضار المصابين.»

«هل بإمكانك ان تجد طريقك؟»

ابتسم هايتر ابتسامة واهية وقال: «طبعاً، ليس مثلك، ولكنني لو استمريت في الصعود وفي الاتجاه الجنوبي الغربي، لتمكنت من ان اصل الى هدفي المنشود.»

تفرس بول في وجهه باهتمام وقال: «واذا لم تتمكن؟»

هزّ هايتر بكتفيه غير مبالٍ وقال: «في هذه الحالة، سأضطر إلى ان امضي ليلتي في الغابة، وليست المرة الأولى... لا تقلق عليّ يا صديقي، لقد تعلمت منك الكثير ولن اضيع طريقي. كما انك يجب ان تطمئن بأن كل شيء على ما يرام في فازندا.»

قال بول: «لو انني فقط اتمكن من ان التقطهم بواسطة جهاز اللاسلكي...»

«هناك طريقة واحدة وانت تعرف جيداً ما هي.» توقف هايتر ثم تابع بتردد: «اتريدني ان آخذ هذا الصبي معي؟»

ادركت ميريندا وهي ترتجف قليلاً بأنها كان هي المعنية

بهذا الكلام، كما انها ادركت ايضاً، ان هذين الرجلين لا يرغبان بوجودها معهما.

اجابه بول: «لا، فقد تستطيع الاستفادة منه في الفازندا، فهؤلاء الاساتذة امثاله يكونون قد تعلموا طرق الاسعافات الأولية، والتي نحتاج إليها.»

شعرت ميريندا بقلبها يهوي من مكانه، صحيح انه تم تدريب الاساتذة الصغار على القيام بالاسعافات الأولية، ولكنها لم تشارك ولا مرة في هذا التدريب، فعندما جاءت الى البرازيل كانت صغيرة جداً ولم يكن والدها يسمح لها بالخروج من البيت ولا لأي سبب من الأسباب. وكل ما تعرفه عن الأدوية او الاسعافات، كانت بإشارة من والدها، فتمنت ان تكون ذات فائدة لبول.

ابعدت نظرها وتظاهرت بالتجاهل التام للحديث الذي يدور بينهما، وعلى اية حال، لقد كانا لا يعيرانها اي اهتمام، لذلك فلم يكن الأمر صعباً عليها.

ودّعا بعضهما ثم قال بول: «ابقى على اتصال.»

ابتسم هايتر ابتسامة واسعة بالرغم من قلقه وخوفه، وقد اتضح لميريندا، ان بول يحبه ويخشى عليه من اي مكروه.

تابع هايتر الابتسام قائلاً: «سأصرخ بأعلى صوتي للنجدة اذا صادفت أفعى الاناكندا الضخمة.»

ضحك بول، ولاحظت ميريندا ان في رنة ضحكته شيء يجذب ويصعب تجنبه، وقد كانت خافتة ورنانة جعلت قلبها يخفق بشدة.

وسرعان ما اخذت توّنب نفسها لسخافة تفكيرها، فالرجل لم يفكر او يوجه هذه الضحكة إليها، فهي بالنسبة

إليه، ربما ككيس من الطحين يحاول ان ينقله لمن هم بحاجة إليه.

تابع بول طريقه دون ان يوجه إليها كلمة واحدة، وكانت الأشجار في هذا المكان اكثر كثافة واغصانها واطئة لدرجة انه كان عليهما ان يحنيا رأسيهما لتجنبها.

اشتد الظلام، فتناول بول من جيبه بطارية وعلقها على سرج الفرس وانقشعت الرؤية امامهما. لكن اغصان الأشجار ظلت تهددهما بالخطر في ما لو لم يلاحظانها، وكانت الهرة الصغيرة تتحرك داخل سترتها طوال الوقت الى ان هدأت بنفسها.

اخيراً توقف ونزل عن صهوة فرسه، فنظرت ميريندا من حولها، فقد كان المكان لا يضم سوى أربع أو خمس أشجار، كما ان الأرض مسطحة، ومن الواضح ان الناس كانوا يتوقفون هنا ويشعلون النار طلباً للراحة والتدفئة.

سألت بعصبية: «لماذا توقفنا؟»

أجابها ساخراً: «أريد أن أملأ السيارة بالوقود.» توقف عن الكلام ثم تابع بنفاد صبر: «علينا أن نرتاح قليلاً، فلا يمكننا متابعة المسير طوال الليل.»

قالت ميريندا مترددة: «إذا كنت تريد التوقف لاجلي، فأنا لم اتعب بعد، ويمكنني متابعة السير.»

نظر إليها بدهشة وكأنه لم يأخذ رأيها بعين الاعتبار ثم قال: «يجب ان ترتاح الفرس، لأنها تحملك ايضاً، ولن تتمكن ان تسير طوال الليل. هيا انزل وأشعل النار.» وعندما لم تبد اية حركة نظر إليها بعينين ضيقتين وتابع يقول: «هل تعرف كيف تشعل النار ايها الاستاذ الصغير؟»

اجابته ميريندا: «نعم.» فتلك السنوات الخمس التي امضتها في الغابة لم تذهب سدى، وكانت قد تعلمت بعض الأولويات.

«اذاً، انزل عن هذه الفرس ودعها ترتاح.»

اجابته وفي داخلها كره شديد له: «لا اعتقد انني أقدر على ذلك.»

أخذ يحدق فيها في البداية ثم اخذ يضحك عندما ادرك مما كانت تعاني منه، وقال: «لم افكر بهذا الأمر، واعتقد ان ركوب هذه الفرس كان صعب عليك للمرة الأولى.»

مدّ ذراعيه وساعدها على النزول عن الفرس وكأنها طفلة صغيرة، وكادت ان تسقط على الأرض عندما رفع يداه عنها، ولكنه اسرع وامسك بها من جديد.

سأل بعطف: «هل اصبت بالتشنج في عضلات ساقك؟»

لكن ميريندا كانت مازالت مأخوذة كيف انها كادت تسقط دون ان تشعر بذلك.

قالت له: «لا، ولكنني لا ادري، فأنا لا اشعر بساقي في حالتهما الطبيعية.»

«ذلك لانك غير معتاد على ركوب الخيل. بلكهما وستتحسنان سريعاً.»

فعلت ميريندا ما قاله لها، وأخذ يتبدد شعورها بالامتعاض بينما عادت الدماء تجري في عروق ساقيها. كان بول في تلك الأثناء يقوم بعمل شاق وقد وضع البطارية على الأرض وباشر بنزع السرج الثقيل عن ظهر الفرس، ولم يلاحظ عليها ما تعانيه من انزعاج. فكرت ميريندا وقد عادت تشتعل امتعاضاً منه، بأنه حتما سيلاحظ عليها ذلك عندما لن يحصل على نار متقدة منها.

كان المطر غزيراً حتى وهو يتساقط من تحت اغصان تلك الشجرة الضخمة، خرجت الهرة الصغيرة من سترة ميريندا واطلقت مواءً مزعجاً. ثم اخذت تمشي نزولاً وبحذر على ساق ميريندا وكأنها لا تصدق بأنها خرجت من سجنها، واسرعت تجلس تحمي نفسها تحت شجرة صغيرة واليأس يطل من عينيها، فضحكت ميريندا بالرغم مما تعانيه.

استدار بول بسرعة وترك ما كان يقوم به.

«ماذا...» وتوقف عن الكلام عندما شاهد الهرة.

كان شكلها ملفتاً للنظر ومحبباً للقلب بوجهها المكور وشعرها الطويل بينما كانت تنبش اظافرها في التراب. ولكن، من الواضح ان بول لا تغريه مثل هذه الأمور، وتابع ينظر إليها بدهشة وهي تعود الى داخل سترة ميريندا وقد انهت مهمتها.

قال بهدوء وهو يحاول ان يكتم غيظه: «ما هذه؟»

تنحنحت ميريندا ثم قالت: «لقد... لقد نقلت الهرة الأم جميع صغارها إلى مكان مجهول ونسيت هذه الأخيرة.»

علق بسخرية على ذلك قائلاً: «واردت ان تعيدها إلى أمها؟ أمن أجل هذا كنت مستعداً للمغادرة لحظة وصولنا اليك؟»

اجابته ميريندا: «لم اكن اعرف وجهة سيري، كما انني لم أنم ولا مرة في هذه الغابة. ولكنني اعرف بعض الأمور التي يجب ان اتجنبها واتحاشاها.»

عاد بول عند ذلك الى ما كان يقوم به وانزل الأكياس عن ظهر الفرس وابتدأ بفتحها. ثم سألها وهو يدير لها ظهره: «منذ متى تعيش في هذه المنطقة؟»

كان من عادة ميريندا ان لا تجيب عن الاسئلة التي تطرح عليها، لأنه كان من عادة والدها ان لا يفسح مجالاً لأحد ليطرح عليها اي سؤال، لكن الأمر يختلف الآن وعليها ان تجيب عن اسئلته. على اية حال، من يضمن لها رؤية والدها هاري لاين مرة اخرى؟

قالت اخيراً: «منذ خمسة اعوام.»

نظر إليها متسائلاً بدهشة: «خمسة اعوام؟ آه، من المؤكد ليس مع هاري؟»

«مع هاري.»

ظهر على وجهه عدم التصديق ثم قال: «انني لا اعرف هذا الرجل جيداً، والا لكنت عرفت اذا كان معه معاون صغير السن، فهذه المنطقة صغيرة وتتناقل الأخبار فيها بسرعة.»

قالت بهدوء: «لا، ليس كما تظن.»

عقد حاجبيه وقال وقد نفد صبره: «هل خبأك عن الجميع؟» ثم اخذ ينظر إليها ملياً، فتوردت وجنتا ميريندا خجلا وتمنت ان لا يلاحظ عليها ذلك.

ثم اجابت بنفس الهدوء: «نعم.»

فقال لها: «هل لي أن أعلم لماذا؟»

قالت مترددة: «يصعب تفسير الأمر...»

ابتسم بول قائلاً: «هيا اخبرني، أم هل عليّ أنا أن أحزر؟ هل يرجع ذلك إلى صغر سنك؟ فلا يمكنك ان تكون سوى طفلاً في الحادية او الثانية عشرة عندما جئت إلى هذا المكان منذ خمس سنوات.»

انها في الحقيقة، كانت في سن الثامنة عشرة عندما جاءت، ولكن وبالنسبة لأنه قد انخدع بها بأنها صبي فلا

يمكن ان يتصورها الآن، سوى بعمر الثامنة عشرة، وبما انه اخطأ في ذلك منذ البداية، فهي غير مستعدة ان تقول له انها فتاة وبالأخص في هذا المكان المهجور والموحش. فأخفضت نظرها وتابعت تقول من الحقيقة ما كانت ترغب في أن تطلعه عليها.

«لقد كتمنا الأمر عن الجميع، وكنت اذهب إلى الغابة كلما جاءنا احد. ولكن الأولاد كانوا يعلمون بأمري وذلك لأنني كنت اعلمهم، كذلك الهنود ولا احد غيرهم.»

أخذ يفكر بما تقوله وهو يحدق في وجهها، ثم هزّ بكتفيه دون مبالاة وعاد إلى عمله دون ان يكلمها بكلمة واحدة. اخذت ميريندا تراقبه بيأس، وقد خامرها شعور بأنها ستتلقى منه اتهاماً بشيء. ولكن كيف، وما عساه يكون ذلك الاتهام يا ترى؟

وبعد ان أفرغ وفرق الأدوات على الأرض، فهمت انه سينصب خيمة.

قال اخيراً، دون ان ينظر إليها: «لماذا؟» وقد بدا منهمكاً بالعمل الذي يقوم به، ولكنه تابع يسألها بنفاد صبر: «لماذا اخفى وجودك؟»

اجابته باضطراب: «ان هاري لاين هو والدي.»

توقف عن عمله فجأة والتفت نحوها بعينين غاضبتين ارجفت فرائصها، لكنه وبسرعة عاد لينصب الخيمة.

ثم قال متابعاً عمله: «انك تدهشني، هل عنده زوجة في مكان ما؟ أم...»

استاءت ميريندا من كلامه الساخر الأخير والذي لم تتوقعه ابداً. أجابته وهي تحاول المحافظة على هدوء

اعصابها: «لا ابداً، كان له زوجة، والتي تكون والدتي، ولكنها توفيت في اوروبا، ولهذا السبب جاء بي إلى هذا المكان، وابقى سر وجودي طي الكتمان لأن والدتي تكره هذه المدرسة وقد قررت عائلتها ان تمنعني من الذهاب إلى والدي، كما انها قدمت شكوى بهذا الأمر للقضاء. وهذا كل ما يمكنني ان اتذكره بهذا الخصوص.»

لكنها كانت تذكر كل شيء، ولكنها لا ترغب في ان تطلع هذا الغريب الغاضب على الحكاية كلها.

رفع الخيمة بخفة يد خبيرة وكأنه يرفع شرشف طاولة ثم تابع قائلاً بسخرية: «اذاً، اراد والدك ان تبقى معه، هل لأجل مساعدته في عمله؟»

اجابته ميريندا بثبات: «كنت اعلم الأولاد القراءة والكتابة ومادة الجغرافيا، وبعضاً من علم النبات.»

قطب حاجبيه قائلاً: «ولم اسمع عنك ابداً، يدهشني ذلك، فأنا لا اصدق كيف تمكن هاري من اخفاء وجودك.»

رفعت ميريندا رأسها بتعال وهي تقول: «كما انني لم اسمعه يأتي على ذكر رجل اسمه بول.»

رسم شبه ابتسامة على وجهه ثم قال: «ربما لأنه اعتقد انني غير مؤهل لتعليم الأولاد. بينما هو يجيز له ان يسرق خريطتي ويأتي على ذكر رجل شرير.»

عبست ميريندا كأنها تحاول ان تتذكر شيئاً بينما كانت تقول: «تقول خريطتك؟»

اجابها دون مبالاة: «لقد رسمتها بيدي، واصر هاري بأنه هو بحاجة إليها اكثر من حاجتي إليها أنا. على أية حال، هذا لا يهم. تعال وادخل الى الخيمة الآن حتى تجف ملابسنا على الأقل.»

ثم اشار إليها قائلاً بعد أن دخلت الخيمة: «اخلع عنك ملابسك وسأهتم أنا بالفرس ليمانجا... وحاول أن تجفف تلك الهرة.»

ورمى بقطعة قماش سميكة إلى الداخل، فخلعت ميريندا سترتها واخذت تجفف الهرة، كان بامكانها ان تراه يروح ويجيء في الخارج ذلك لأن الضوء المنبعث من البطارية كان ينير المكان. سمعته يتمتم مرات ومرات أخرى، ثم سمعت الفرس تصهل وتضرب الأرض بحوافرها، وبعد لحظات سمعت بول يكلم الفرس بلطف.

شعرت ميريندا، انه يكلم الفرس بلطف اكثر مما يكلمها هي. مما يؤكد ان هذا الرجل لا يضيع وقته مع اشخاص غير معتادين على الحياة القاسية. او ربما كان لا يرغب في أن يتحمل مسؤوليتها، فتنهدت قائلة في نفسها، انها لا يمكن أن تلومه على ذلك.

فتحت الخيمة فجأة، ودفع بول بحقيبتها إلى الداخل، ولأنها كانت مفتوحة، سقطت محتوياتها.

فقال بول وهو ينظر إلى الأشياء التي سقطت: «الحوائج لا بأس بها، من الواضح انك تعلمت شيئاً رغم كل ما مر بك.»

أجابته ميريندا: «شكراً لك.»

ثم ابتعد عنها قائلاً: «سيكون إشعال النار امر صعب.»

همهمت وكأنها تكلم الهرة: «ليكن ذلك مستحيلاً عليك.»

فبعد ذاك السيل الجارف من الأمطار وتكسر الأغصان، لا تعتقد انها قد جفت تماماً ويمكن إشعالها. وتابعت تكلم الهرة: «فكلما طال الوقت وهو في الخارج، يمنح لملابسي وقتاً كافياً لتجف.»

عاد إليها بعد ذلك ليدحض ما توقعته حول إشعال النار، وقدم إليها طبقاً ساخناً من الأطعمة المجففة، لم تدر ماذا تفعل، هل ترفضه او تقبله، لكن الجوع انتصر عليها.

دخل هو ايضاً إلى الخيمة، وعلق البطارية في مكان ما داخلها وجلس إلى جانبها ليتناول وجبته. فتململت ميريندا وقد شعرت بانزعاج، لأن هذه الخيمة ليست واسعة. انها لم تجلس قريبة من اي غريب كان منذ ان كانت طفلة.

قال بول وهو ينظر الى طبقه: «أنت متوتر جداً بالنسبة لاستاذ جريء.»

«انني لست باستاذ.»

رفع حاجبيه متعجباً وقال: «لا؟ وما رأي هاري في ذلك؟»

أجابت ميريندا في نفسها، انه حانق وغاضب لهذا التصرف، وسيكون ثائراً اكثر لو علم انها الآن ستتولى امور حياتها بنفسها، لكن ميريندا تفضل ان لا تتكلم مع هذا الغريب بشؤونها الخاصة، وكل الذي فعلته كجواب عن سؤال بول، انها هزّت بكتفيها دون مبالاة وكأن الأمر لا يعنيها.

وضع بول طبق الطعام جانباً وأخذ ينظر إليها متفحصاً، مما جعل ميريندا تشعر بأنها تحت المجهر.

ثم قال: «ما اسمك؟»

اجفلت ميريندا، انها لم تستعد لسؤال مثل هذا النوع. لكنها بقيت عازمة في أن لا تبوح له بحقيقتها وأجابت بجرأة: «اسمي مارك.»

رفع أحد حاجبيه وقال: «أفهم من ذلك ان المدرسة في ساو باولو يعرفون بأمرك ايضاً؟»

نفت بحركة من رأسها.

ثم قال بطريقة لاهية وكأنه وجد حديثاً يسلي ويروح به عن نفسه: «لماذا؟ اليس من المسموح ان يصحب الاساتذة اولادهم معهم؟ وهل الأولاد يلهونهم عن القيام بواجباتهم، او انهم يخافون ان تنتقل محبتهم واخلاصهم عن هدفهم الرئيسي؟»

اجابته بحدة: «لا أفهم ماذا تقصد بالضبط.»

ابتسم ابتسامة خفيفة وقال: «مثلاً، في القرون الوسطى، لم يكن يسمح للاساتذة بتربية الحيوانات الأليفة كي لا يتحولوا عن واجباتهم وفروضهم.»

نظرت ميريندا إليه وقالت بشك: «لم اسمع بذلك من قبل.»

ابتسم قائلاً: «اؤكد فعلاً انك لم تسمع بهذا الأمر، وهذا خطأ. لكنني اجزم لك بأنه صحيح، ولكن الهدف من كلامي، ايكون هذا هو السبب الذي دعا والدك لأن يخفي حقيقة وجودك لمدة خمس سنوات؟»

أجابته باصرار: «لا.»

ضاقت عينا بول وهو يقول: «اذاً لماذا؟»

شعرت ميريندا بالكره يتزايد لمحدثها، لكنه هو من انقذ حياتها، فرأت انه لا مانع في ان تعطيه القليل من الحقيقة التي تعرفها.

«لقد ارسلت عائلة بعض الأشخاص للتحري عني، فخشي والدي من ان يقنعوا السلطات البرازيلية ويعيدوني إلى بريطانيا في ما لو عرفوا مكاني، او ربما يخطفوني.»

أخذ بول ينظر إليها بدهشة ثم قال: «وهل كان ذلك في الحسبان؟»

«لقد قال والدي ذلك.»

خيم صمت بسيط بينهما استطاعت ميريندا خلاله ان تلاحظ الحدة في عيني بول.

«وهل كنت تريد البقاء؟»

«آه، نعم.»

ضاقت عيناه وقال: «لانك احببت والدك، ام البقاء في البرازيل؟ ام لأنك لم تكن سعيداً في بريطانيا؟»

اجابته ميريندا وقد شعرت انها امام محقق خبير: «من اجل الأسباب الثلاثة التي ذكرتها.»

تحرك في مكانه ليتناول من كيسه سيجاراً ثم أشعله قائلاً: «اعرف بأنها عادة سيئة، لكن الحالة التي نحن فيها تدعوني إلى ذلك.» واخذ ينفث دخان السيجار وهو ينظر إليها من خلاله.

ثم سألها بتكاسل: «هل حاول احد ذلك؟»

«حاول ماذا؟»

«ان يسلمك الى السلطات، او ان يخطفك؟»

حولت نظرها إلى الأسفل قائلة: «نعم، كان يأتي بعض الناس وكان والدي يرسلني إلى قرية الهنود. ثم يرسل ورائي جاو ليخبرني بأنهم رحلوا، ولم اتمكن من رؤية احد منهم.»

قال مفكراً: «جاو.»

«نعم، هل تعرفه؟»

«لا، بل هايتر يعرفه، وكان جاو هو الذي ارسلنا الى مكان المدرسة من اجلك، ولم يخطر ببالي ان يكون والدك عديم الاهتمام والمبالاة.»

لو انها كانت في ظروف اخرى، او لو حتى لم يكن هو منقذها، لكانت ثارت ثائرتها عليه للكلام الأخير الذي قاله. كما انها شعرت انه ليس من صالحها ان تفعل ذلك وهي لا تعلم ما يخطط له او ما الذي يخفيه وراء تلك البرودة في نبرة صوته.

تململت في مكانها فأيقظت الهرة من غفوتها لتنهض وتستكشف الخيمة.

حوّل بول نظره إلى الهرة الصغيرة، وعادت ميريندا تنجذب لاهداب عينيه الطويلة، ولوجهه الوسيم، وفكرت انه من الطبيعي ان النساء قد يجدونه رجلاً جميلاً.

ثم سألت نفسها باشمئزاز، ما مدى معرفتي بكل هذه الأمور؟ فأنا لم أكلم احداً منذ رحيل رولف العالم الأميركي، وبالطبع، والدي، جاو وماريا كلارا التي تعرف عن الرجل معرفة اقل بكثير من معرفتي بهم.

شعرت بوجنتيها تلتهبان عندما وصلت بتفكيرها إلى هذا الحد وخشيت ان يلاحظ بول ذلك من الضوء المنبعث من البطارية. لكن افكارها لم تتركها وشأنها وقد خطر ببالها امر آخر، هل سيراها بول جذابة في ما لو عرف بأنها امرأة وليست صبياً كما يعتقد؟

رفع نظره فجأة نحوها، فارتعشت ميريندا وكأنها ارنب خائف من اصطياده.

قال بول ببرود: «لا داعي لهذا الخوف، فأنا لن امدّ يدي عليك. أما لو كان هاري والدك امامي الآن، لكنت اشبعته ضرباً. لا لن تكون انت كبش المحرقة. ولكنني اود ان اعرف منك عن عزمه وعن مقاصده.»

نظرت ميريندا إليه بحيرة ثم قالت: «تتكلم عنه وكأنه مجرم خطير.»

ابتسم ابتسامة هازئة، ثم قال: «لا. لا أظن أنه مجرم خطير، ولكنني اعتقد بأنه مجنون ومتعصب يخلو من العاطفة والانسانية، ويعتقد أن بامكانه ان يفعل اي شيء يريده ويرضي مطامعه، والذي يفسر هاري لاين مبادئه حسبما يراها هو.»

اضطربت ميريندا، فبالرغم من الهدوء والبرودة في نبرة صوته، كان يخفي غضباً حاداً على والدها، الذي لو سمع بما يتهمه به الآن، لثارت ثائرته ولكان تناقش معه باحدى مواعظه اللاذعة.

وتساءلت لماذا لم يذكر والدها امامها هذا الرجل؟ فهو ليس كتوماً، وبالأخص حول اعدائه. وكان السر الوحيد الذي اخفاه هو سر وجودها، وحسبما كان يردد على مسامعها دائماً، بأنه يقول ذلك لأجل مصلحتها.

عادت تحاول أن تتذكر وتبحث في رأسها عن هوية هذا الرجل، ولكنها لم تتوصل إلى شيء.

لفت نظرها في تلك الأثناء، الهرة الصغيرة وهي تشمشم جزمة بول التي كانت مغطاة بالوحل، لكن، ومع ذلك، لا يمكن ان تخفي جودتها ونوعيتها الغالية الثمن. لم تكن ميريندا خبيرة بأثمان الملابس والأحذية، ولكنها تعرف وتميز الجزم وجودتها، اذاً، فهو رجل غني. فقالت فجأة: «من أنت؟»

أجابها بصوت اجش: «بول برانكو.»

«برانكو؟» قالت ميريندا وهي تفكر بأن هذا الاسم

مألوف لديها، حكت دماغها ولكنها لم تصل الى اي شيء.

قررت عند ذلك ان تحاول معه لتتعرف إليه اكثر، فسألته: «كيف تعرف والدي؟»

نظر إليها بشك وقال: «انه من المستحيل عدم معرفة الرجل الأوروبي في هذه المقاطعة. طبعاً عداك انت، وهذا الشيء يعيدنا إلى سؤالي مرة ثانية، ما الذي يريد هاري ان يفعله بك؟»

تنهدت ميريندا قائلة: «يريد أن يدربني.»

نظر إليها بذهول قائلاً: «ليسلمك مهامه من بعده؟»

بدا الاشمئزاز على وجهها عندما قالت: «لقد تراجع العديد من الاساتذة الجدد عن المدرسة، مما شجع والدي على ان يدربني.»

بدا على الهرة الآن انها ارتاحت إلى بول، فأخذت تتنقل على ساقه بمرح، ولم يحاول ان يبعدها عنه، لأنه في الواقع لم يشعر بها وقد قطب جبينه مفكراً.

ثم سألها ببطء: «هل أنت سعيد بذلك؟»

أجابت في داخلها لا، وقد اصيبت بالتعاسة منذ ذلك الشجار مع والدها، وعدم التكلم معها لعدة ايام كانت بمثابة عقاب لها. لكنها كانت تعلم انه لا خيار لها في هذا الأمر، والمؤسف اكثر لحالتها انها علمت بأنه لا يحتاج إليها كما قد فكرت عندما دعاها إلى البرازيل، فرأت انه ينبغي عليها الرحيل، وقد تفهم جاو وماريا كلارا ذلك، لكن الانسان الوحيد الذي لم تستطع ان تقنعه كان والدها.

أحنت ميريندا رأسها وتمتمت بكلام غير مفهوم جواباً عن سؤاله بينما كانت تمضغ حبات الفاصوليا.

تنهد بفارغ صبر ثم قال: «وكيف يستطيع صبي بعمرك ان يعرف ذلك، وما رأي ادارة المدرسة بشأنك؟»

كانت ميريندا متأكدة كل التأكيد بأن والدها قد اخبر الادارة بحالها، وعادت تمتم بكلام غير مفهوم.

ثم تابع يقول: «لا بد وان هذا الرجل عالق الآن في مكان ما. ولكن، كيف طاوعه قلبه ان يتركك والطقس ينذر باعصار شديد الخطورة؟»

كانت ميريندا مستعدة للاجابة عن سؤال كهذا فقالت: «لقد قال انه يجب عليّ ان اتحلى بالايمان.»

قال بول بغضب: «هذا ما يعرفه هاري، فلولا حسن الصدف التي قذفت بهايتر إلى جاو، لما اقتربنا من المكان الذي كنت فيه.»

اضطربت ميريندا قائلة: «اعرف ذلك.»

«ولكنك كنت مستعداً للرحيل عندها، فهل كنت خائف؟»

أجابت ميريندا بصراحة: «لا. بل مرتعب جداً.»

ضحك بملء فيه ثم قال: «يا لك من فتى شجاع.» ثم اخذ يداعب اذن الهرة الصغيرة، فأغمضت عينيها باطمئنان وتابع يقول: «لكن طبعاً، كنت بحماية هذا الأسد المفترس.»

ضحكت ضحكة مرتجفة ثم قالت: «في الحقيقة، كنت سعيداً برفقتها، ربما تعتقد ان ذلك ضعف مني.»

نظر إليها نظرة فيها شك وقال: «لا، بل اعتقد انه تصرف طبيعي في مثل هذه الظروف.»

خامرها شعور بأنه يريد ان يقول شيئاً آخر لكنه توقف عن ذلك في اللحظة الأخيرة، ثم تابع ينظر إليها متأملاً.

«اذاً، كان هاري يدربك لتأخذ عمله من بعد، وأنت كنت

ترفض ذلك، ما الذي سيقوله يا ترى لو عرف بأن سر وجودك الذي اخفاه لمدة خمس سنوات قد اكتشف الآن؟»

لقد سبق وفكرت ميريندا بهذا الأمر، وكم سيغضب والدها منها، ولكنها قالت دون مبالاة: «لا يمكننا تجنب ذلك وعليه هو ان يتفهم الأمر.»

رفع حاجبيه متعجباً وقال: «هل يمكنه ذلك فعلاً؟»

أجابت ميريندا: «سأقول له ان من حسن حظي أنك أتيت إلى نجدتي.»

عاد بول يضحك عالياً من جديد، فابتسمت ميريندا خجلاً لذلك. ثم قال: «يا له من كلام رائع، خاصة وان هاري لا يعترف بي.»

نظرت إليه نظرة باردة وقالت: «يبدو ان الشعور متبادل بينكما.»

«انك على حق، لم نكن على وفاق لعدة سنوات.»

تذكرت ميريندا ان والدها كان على عدم انسجام مع الجميع.

قالت له بعد ذلك: «لماذا تشاجرتما؟»

اجابها وبدا وكأنه يتمتع بهذا الحديث: «كان خلافنا حول الاخلاق والحقوق... اعني بذلك اخلاقي مع حقوق الهنود بأرضهم، وكان يعتقد هاري ان الحظ منحه القوة ليتصرف على هواه في ما يتعلق بالأخلاق والحقوق، لكنني تمكنت من ان اردعه عن افعاله.»

«لا يستطيع احد ان يثني والدي عن عزمه.»

قال بول بهدوء: «حسناً، انا قد استطعت، فقد اراد ان يبني مركزاً للتدريس في ارض القبائل الهندية ولكنني منعته عن تحقيق ذلك.»

هزت ميريندا رأسها قائلة: «لا بد وانه كان غاضباً جداً من ذلك. ولكن لماذا لم اسمع عنك ابداً؟»

اجابها بول: «لا أعتقد أن هاري من النوع الذي يتحدث عن فشله.»

تنهدت ميريندا وقالت: «أنت محق، كما ان هذا صحيح... سيجن جنونه عندما يعلم بأنك انت الذي خلصتني من مبنى المدرسة.»

ابتسم ابتسامة رائعة وبها ظهرت وسامته اكثر، ثم قال: «انك على حق في ذلك. ولاكثر من سبب، انا مستعد لمناقشة هذا الأمر.»

بدت على ملامح ميريندا الحيرة وكأنها لم تفهم ماذا كان يقصد.

وضحك عندما شاهد الحيرة على وجهها ثم قال: «عندما سرق مني تلك الخريطة التي رسمتها، ترك لي رسالة وكان ذلك منذ سنوات مضت، وخلال المناقشات حول بناء مركز المدرسة، ولكنه صرح لي انه سيغير مكان المركز حتى ينتصر الخير على الشر.»

عملت عند ذلك ذاكرة ميريندا اكثر وقالت: «لقد قال ان الخريطة من اعمال رجل شرير.»

«حسناً، لقد رسمتها انا بنفسي، ومعنى ذلك انني أنا الرجل الشرير، اليس كذلك؟»

الفصل الثالث

توترت ميريندا عندما قال عن نفسه ذلك.

وتوترها لم يكن سببه أنها خائفة من بول برانكو، ولكن بسبب كرهها له ومن طريقته في التكلم معها لغرض ما يريده منها، فبات امره يحيرها ويشغل رأسها. هي لا تنكر بأنه كان شهماً معها عندما انقذها مما كانت فيه. لكنها وبعد ان عاشت خمس سنوات في الغابة الموحشة مع والدها، تعلمت أن هناك اشياء يمكن للمرء ان يخشاها ويتحاشاها غير الخوف من لسان لاذع كلسانه.

قالت بعد ذلك بحدة: «لا ارى في هذا الأمر ما يضحك.»

جاء جوابه بارداً: «آه، ليس عندك فكرة كم هو كذلك.»

تضايقت منه ومن سخريته لها، فقالت متحدية اياه: «أفصح اذاً عما تريد ان تقول.»

قال لها بتعالٍ: «قد تحتاج إلى التعرف عليّ اكثر... وليحترمني الناس كل الاحترام.» يا له من رجل متعالٍ ومتغطرس، وكلمة الكره له، باتت لا تفي بالغرض نسبة لما تشعر به تجاهه من حقد وسخط.

قالت له بدبلوماسية: «في هذه الحالة، آمل ان اتعرف عليك اكثر مع مرور الوقت.»

كانت النبرة التي استعملتها في صوتها تنفع غالباً مع والدها، لكنها لا تنفع مع بول الذي رفع حاجبيه وقال ضاحكاً: «ولكن ذلك قد لا يجلب الراحة لكلينا.»

وعندما انتهى من الضحك قال بلطف: «انك لا تدرك ماذا اعني، ولن افيدك بشيء. ربما قد تظن بأن هذا ليس عدلاً يا صغيري. لكن صدقني، سيكون من الأفضل ان نتعارف على بعضنا البعض اكثر واكثر عندما نصل إلى بيتي، كما انه سنلتقي هناك باناس اخرين ليحكموا في ما بيننا.»

قالت ميريندا بانزعاج: «اتمنى لو تكف عن مناداتي بالصغير.»

لوى بول فمه بسخرية وهو يقول: «على العكس، ذلك سيبقى ذكرى رائعة لكلينا.»

حدقت ميريندا في وجهه قائلة: «ذكرى؟ بماذا؟»

قال بلطف: «بأن الاشياء لا تكون دائماً كما ترى.»

استفسرت ميريندا بعذوبة: «تعني بأنك تبدو كالشرير بينما أنت طيب القلب في الحقيقة؟ او العكس صحيح؟»

عاد يضحك بملء فيه ثم قال: «ستعرف كل شيء غداً، حيث انه سيكون هناك آخرون يشهدون على ذلك. هيا الآن، اكمل طعامك، فنحن بحاجة للراحة.»

اكمل بول طعامه بسرعة بينما كانت الهرة الصغيرة مازالت على ذراعه، فأخذ يداعب رأسها الصغير قائلاً: «لا شيء يزعج هذه الهرة الصغيرة، حتى انها لم تتحرك طوال الرحلة ولم يسمع لها صوت، أو ربما لأنني لم اكتشف امرها في البداية.»

فكرت ميريندا وقالت في نفسها، كما انك لم تكتشف بأنني لست صبياً. وكان هذا الأمر الخاص والسري يسرها وتحتاج إليه في الوقت الحاضر.

انهت طعامها هي الأخرى ثم قالت: «انها تنام كثيراً

في هذا العمر، وتبحث دائماً عن الأماكن الدافئة والآمنة.»

«فلسفة لا بأس بها لمن يعيش مثلك في غابة موحشة.»

ضحكت ميريندا ضحكة خفيفة ثم قالت: «وهذا ما كنت اسعى إليه انا الآخر عندما وجدتني.»

قال بول بلطف: «كانت تلك شجاعة منك.»

قالت ميريندا مؤكدة: «لا، لم يكن ذلك بدافع الشجاعة، بل بدافع الخوف الشديد.»

«وهذا ما يجعلك شجاعاً.»

حمل عند ذلك الهرة الصغيرة ووضعها في زاوية الخيمة. ثم اخذ يضع البطانية باتقان ودقة الخبير في هذه الأمور فابعدت ميريندا ساقيها لتفسح له مجال القيام بعمله.

لم تكن تلك الليلة هانئة ومطمئنة، كما أنه لم يجد النوم سبيلا إليها بينما كان بول يغط في نوم عميق.

كان بول قد تركها قبل ذلك ليتفقد الفرس ويطمئن عليها، فمنحها بذلك بعض الاستقلالية لتتدبر امورها الخاصة ولو لفترة وجيزة.

ولكنه وعندما رجع، كانت قد اصبحت تحت البطانية وقد رفعتها إلى ذقنها، وكذلك كانت قد خلعت الجزمة. فابتسم قائلاً: «اشكرك، فأنا لا ارغب ان اتلقى ركلة قاسية خلال نومي، ولكنني اعتقد بانك ستجد صعوبة عندما تنتعلها غداً.»

قالت بنبرة هادئة: «انني لا اركل.»

فقال بول بمرح: «من الافضل ان لا تفعل ذلك، والا سقطت الخيمة فوق رأسينا.»

تنحنحت ميريندا ثم قالت: «هل تفعل كثيراً من هذا؟»

«من ماذا؟» سألها وقد ادار لها ظهره.

«تقيم مخيماً.»

اجابها بنبرة ساخرة: «انها ليست من الأعمال المفضلة لدي، وبالاخص في طقس عاصف وممطر مثل هذا.»

«لكنك تعرف جيداً ما يجب ان تفعله.»

«بالطبع. لقد امضيت اكثر اوقاتي أنصب الخيم والتجيء إليها، ولا من احد يسكن في هذا القطاع لا يعرف بهذه الأمور، وذلك لكي ينجو بنفسه اذا اضطرته الظروف.»

قالت ميريندا: «انها المرة الأولى بالنسبة لي.»

أجابها بجفاف: «هذا واضح جداً.»

شعرت بالخجل من صراحتها وقالت: «آسف، انني احاول ما في وسعي.»

تنهد بحدة ثم قال: «انني متأكد من ذلك. والآن سأخلد إلى النوم.»

قالت بتواضع: «سأقوم بأي شيء تطلبه مني، فأنا لا اريد ان اكون عبئاً عليك.»

اجابها بعد لحظة صمت: «اعترف بأنها المرة الأولى ايضاً بالنسبة إليّ. على اية حال، انا لا اريد منك ان تقوم بأي شيء يا صغيري، بل اطلب منك ان تخلد إلى النوم.»

كان في نبرة صوته شيء قاطع وكأنه يضع حداً للحديث بينهما، ولقد كان على حق في ذلك فعليهما ان يستريحا، ولا أحد يعلم كم سيطول بهما الوقت ليصلا إلى منزله غداً على صهوة تلك الفرس المسكينة.

اغمضت عينيها وحاولت ان تنام، لكن ذلك كان مستحيلاً عليها.

وفي الصباح، كانت تعبة مثقلة العينين بينما كان هو في كامل نشاطه وحيويته.

وعندما بدأت تتحرك قال: «لقد هدأت الرياح.»

تظاهرت ميريندا بأنها تستفيق من نومها، وهي التي قضت ليلتها صاحية تصغي إلى الأصوات القادمة من الغابة. فركت عينيها الواهنتين بسبب قلة النوم. وسألته:

«هل تمطر؟»

«لا يبدو ذلك. هل بامكانك ان تعيد ترتيب الفراش والبطانية؟»

لم تكن ميريندا متأكدة من انه يمكنها فعل ذلك، ولكنها لن ترضى بالهزيمة قبل ان تحاول.

قالت بعزم: «سأحاول جهدي.»

«حسناً، وسأحاول بدوري ان احضر طعام الفطور.»

حالما خرج بول من الخيمة، اخذت ميريندا تسوّي من شأنها ومن شعرها الذي كاد ان يسقط على وجهها من تحت القبعة، فشكرت حظها لأن بول لم يلاحظ ذلك.

من المؤكد ان بول سيعرف حقيقة امرها اخيراً وسوف تبرىء نفسها، لأنها اضطرت إلى عدم الافصاح عن حقيقة امرها عندما انتهى بهما الأمر إلى اللجوء إلى خيمة واحدة في وسط الغابة.

بدأت بعد ذلك بترتيب الفراش، لكن الهرة الصغيرة لم تساعدها في ذلك، بل رأت ان ما تقوم به ميريندا امراً مسلياً فأخذت تشد باظافرها بطرف البطانية بمرح.

ضحكت ميريندا وحملتها لتضعها على كتفها، دخل بول في تلك الاثناء واخذ ينظر إليها دون ان يحرك ساكناً، وقد

كانت الهرة تحاول ان تلمس عين ميريندا بقدمها الصغيرة. لكن شيئاً في وجه بول الهادىء والساكن جعل ميريندا تتوقف عن مرحها.

تقدم منها وهو يمد يده نحوها، فارتجفت ميريندا وظهرت امارات التعجب على وجهها. انتظرت منه ان يقول شيئاً قاسياً كعادته، ولكنه اخذ الهرة الصغيرة من على كتفها ليضعها خارج الخيمة.

ثم قال: «ارجو ان يعجبك هذا النوع من الفاكهة، فهذا كل ما استطعت ان اجده لفطور الصباح.»

نظرت باشمئزاز إلى هذه الفاكهة وهي التي لم تعجبها ولا مرة لمذاقها، مع ان السكان المحليّين كانوا يعتقدون بأنها من الفاكهة الشهية.

قالت بحذر: «انها تشبه ثمرة الاناناس العفنة.»

«اوافقك الرأي بأنها ليست طيبة المذاق، ولكنها ستمنحنا بعض القدرة على الاستمرار في رحلتنا. لقد ازيلت معالم بعض الممرات بفعل السيول وسنواجه بعض الصعوبات.»

ثم اخرج من حقيبته سكينة حادة ذات مقبض خشبي يقطع تلك الثمرة إلى قطع مثلثة، فتناولت قطعة منها وهي تنظر إلى السكين بحذر وقالت: «تبدو هذه السكينة حادة.»

قال وهو يحوّل نظره إلى السكينة قائلاً: «هذه؟ ما النفع اذاً من اقتناء سكينة اذا كانت لا تقطع جيداً؟»

«يدهشني انك لم تحضر معك منجلاً.»

«لقد احضرته.»

ظهرت المفاجأة على وجه ميريندا، فابتسم ابتسامة مشرقة.

«لقد هيأت نفسي لجميع المعدات، فأنا لا اعرف ما خلفته العاصفة من اضرار في الطبيعة، من تقطع اغصان وحتى إلى اقتلاع اشجار من جذورها.»

بلعت ميريندا بريقها، وقد بدأت تدرك مدى المجازفة بدخولها الغابة بمفردها لولا مجيء بول لنجدتها في الوقت المناسب، وقد افصحت له بذلك باضطراب واضح.

فقال لها غير مبالٍ: «كنت ستكون بخير، ولكنك كنت ستأخذ وقتاً اطول لتصل لأي مكان وذلك لعدم معرفتك بممرات الغابة.» ثم اخذ قطعة من تلك الفاكهة وناولها اياها قائلاً: «هيا، كلّ هذه.»

بدت ميريندا مشمئزة، ولكن لا خيار لها في ذلك. فهذه الثمرة تحتوي على كمية كبيرة من السكر التي ستمدها بالنشاط لمتابعة رحلتهما، فنزعت البذرة البنية منها واخذت تمضغها غصباً عنها.

اخذ بول ينظر إليها ثم قال ناصحاً: «لا تبتلعها، اذا كانت لا تعجبك، حاول فقط ان تمتص عصيرها.»

اخرجت ميريندا القطعة من فمها. بعد ان امتصتها جيداً وهي تشعر بارتياح لذلك.

«لقد بدأت اشعر بالارتياح.»

«انها بالطبع ليست كشريحة من اللحم، انما لها منافعها. وسنأخذ معنا ما تبقى منها، فلدينا نقص في مياه الشرب.»

اندهشت ميريندا وقالت: «ولكن، لماذا لا نستعمل مياه النهر؟»

«ان مياه النهر ملوثة الآن، حتى ولو استعملنا الاقراص المطهرة لها، سترفض ان تشربها.»

قالت: «ان وجودي يشكل عائقاً لك، اليس كذلك.»

«لا، ليس كذلك، انما يمكن القول ان عدم خبرتك في هذه الأمور يجعل العمل معقداً بعض الشيء، ولكن الذنب ليس ذنبك. على كل حال، سنصل إلى فازندا عند المساء وستنتهي مشاكلنا.»

ولقد تمكنا فعلاً من الوصول، لكنها لم تكن بالرحلة السهلة. فالعاصفة كانت قد حوّلت الغابة إلى دمار هائل فكسرت الأغصان، حتى انها اقتلعت الشجيرات من جذورها. وكان المطر قد توقف ولكن تجمع المياه على الأوراق في أعالي الأشجار، كان يتساقط على رأسيهما.

وبدا ان بول لم يهتم لرؤية الخراب الذي خلفته العاصفة، فقد تابع يشق طريقه صعوداً واحياناً كانا يدوران في حلقات مفرغة بحثاً عن الطريق الاسهل. وكيفما نظر، كانا لا يريان سوى الأشجار العالية بشكل هائل.

كان هناك ايضاً نبات متعرش يتدلى من هذه الاشجار، فقطع بول احدى اغصانها الضخمة واعطاها إلى ميريندا لتساعدها على المشي، ودهشت من صلابتها ومتانتها.

وكانا في بعض الاحيان يعبران في مساحات خالية من اية اغصان متكسرة، واحياناً اخرى يدخلان مساحات يضطر فيها بول إلى استعمال منجله ليفسح الطريق امامهما. كما انهما اضطرا لمرتين ان يتسلقا الشجيرات المقتلعة، وكان بول يحث الفرس ويشجعها على الاستمرار في السير، بينما كان يسمع صوت مجرى النهر في الأسفل.

وتخيل لميريندا بعد ظهر ذلك اليوم، ان لا احد سواهما يتحرك في الغابة بعد هدوء العاصفة. ثم لفت نظرها الطائر

المغرد وهو يرفرف بأجنحته وريشه الملون كقوس القزح.

توقفت واطلقت عبارات بهجة وفرح لذلك الطائر، فقال لها بول: «رائع، اليس كذلك؟ سترى الكثير منها في فازندا، هيا نتابع سيرنا الآن.»

لكن ميريندا كانت مأخوذة كلياً بذلك الطائر الصغير، فقالت برقة: «انه يعيد البهجة إلى النفوس.»

توقف بول واخذ يتأمل تعابير الابتهاج والفرح على وجهها ثم قال: «انه من طيور هذه الغابة، ولكن إن كنت فعلاً تنشد بهجة الحياة، فما عليك سوى ان تستمر بالمسير.»

انصاعت إلى كلامه وتابعت سيرها، فقال لها مذكراً اياها: «وانتبه اين تطأ بقدميك.»

تابعا سيرهما وكانا يتوقفان لحظات للراحة وليشربا الماء ويأكلان قطعة من تلك الفاكهة. إلى ان بدأت تزل بها القدم بين الحين والآخر، اما بول، لم يبدُ عليه اي نوع من التعب.

تعثرت قدمها هي الأخرى وسقطت في حفرة صغيرة من الوحل، فصرخت من الألم ومن الدهشة والارتياب.

أسرع بول عند ذلك وساعدها على الوقوف، واخذ ينظر إليها عن قرب قبل ان يوقفها على قدميها ثم قال: «من المؤسف ان تكسر كاحلك وقد اقتربنا من البيت.»

قالت بتردد: «تقول البيت؟» فأشار إلى صف الاشجار امامهما قائلاً: «الا يمكنك ان ترى ذاك الممر امامنا؟»

حولت ميريندا نظرها إلى حيث أشار لها، لكنها لم تر شيئاً. وتابعا المسير، إلى ان اتضحت فجأة الرؤية امامها وشاهدت الممر، فتلاشى تعبها واخذت تسرع الخطى.

ثم استطاعت ان تسمع خرير المياه، فقال لها بول: «انه الشلال، كما اننا دخلنا ارض برانكو، هل بامكانك ان تصمد اكثر؟»

هزت رأسها بالايجاب وهي تقول: «نعم.»

ثم قال: «امتطي أنت الفرس بينما أنا أجره، فقد يوجد بعض الاغصان المتكسرة في الممر.»

ودون ان ينتظر موافقتها ساعدها على الجلوس فوق السرج. فوقفت الفرس ليمانجا هذه المرة ثابتة ولم تبد انزعاجاً. واخذت الهرة الصغيرة تموء بسعادة وكأنها شعرت بدنو الفرج، فضحكت ميريندا وهي تربت على عنق الفرس. لكنها تفاجأت ببول ينظر إليها بغرابة، فخبت ضحكتها عند ذلك.

قالت بعصبية: «آسف، هل انني اضيع الوقت سدى؟»

اجابها بأدب: «لا، فأنا السبب بذلك. يجب ان نسرع الآن قبل ان يدهمنا الظلام.»

بينما كانا يتابعان سيرهما لاحظت ميريندا اخيراً بأنهما يقتربان من البيت. ثم سمعت اصواتاً وحركة، وعندما اقتربت أكثر، رأته يتكون من طابقين تشع منهما الانوار.

قالت بدهشة: «انه رائع.» اخذ بول الفرس رأساً إلى الاسطبل حيث كان الترحيب به شديداً.

وتقدم رجل طويل القامة بشارب كثيف قائلاً: «لقد اتصل هايتر، هل هذا هو الصبي الذي يخص لاين؟»

انزلها بول عن الفرس واخرجها من الاسطبل، ولكنها لاحظت ان الرجل ذو الشارب لم يظهر على وجهه اي تعبير يذكر، انما كأن شيئاً في داخلها كان يقول لها بأنه مذهول بها تماماً.

سأل بول: «ما نوع الخسائر التي تكبدناها؟»

كان الرجل لايزال ينظر إلى ميريندا متفحصاً قبل ان يلتفت ليجيب على سؤال بول، ثم قال: «من الصعب ان نعرف الآن، انما اعتقد ان السطح ليس في حالة جيدة. على فكرة، لقد احضرت بيبل مارتينز تلك السيدة الالمانية.»

حول بول نظره إلى ميريندا ثم قال: «اثنان من الاساتذة تحت سقف متزعزع، لا بد وان هناك حكمة في ذلك.»

ادركت ميريندا من تكون تلك السيدة الالمانية وقالت: «هل تعني ان لوتي ماير هنا؟»

كانت لوتي موظفة لدى هاري، وكانت ميريندا تبتعد عن المدرسة كلما جاءت لوتي في زيارتها السنوية، كما انها هي تلك السيدة التي يفترض بانها رافقت والدها في تلك الرحلة النهرية.

قال بول بجفاف: «هل ابعدك عن الآنسة ماير ايضاً؟ على اية حال لا يمكننا ان نفعل شيئاً بخصوص ذلك، والحالة الطارئة التي نتخبط فيها اجبرتنا على احضارها.» ثم سحبها من يدها ومشى بها في ممر مسقوف.

كان المكان رائعاً ومدهشاً بالنسبة لما كان لها في تلك الغابة الموحشة. وقد استطاعت ان تشم رائحة النباتات البرية، ولكنها عندما دخلت البيت الدافىء شمت اشياء اخرى كانت قد افتقدتها ونسيت امرها، وهي القهوة والخبز المحمص والعسل.

قالت بلطف: «يا له من مكان رائع.» انها لم تشعر وتحس بالسلام والراحة منذ سنوات، لا بل في كل حياتها، ثم بدت وكأنها لا تستطيع ان تحفظ توازنها اكثر من ذلك.

نظر إليها بفضول ثم قال: «يبدو انك تعب جداً، وكل ما تحتاج إليه الآن، بعض الحساء الساخن وتذهب إلى النوم.»

فتح عند ذلك باب خشبي يؤدي إلى مطبخ فسيح الارجاء لم تشاهد ميريندا بحجمه في حياتها كلها. وكان يشع بالضوء والدفء، فنادى بول عالياً: «آنا.»

ظهرت سيدة وافرة الصحة وقالت: «آه، لقد عدت. يريد منك هايتر ان تتصل به لاسلكياً في اسرع ما يمكن.»

طأطأ بول برأسه قائلاً: «حسناً، لكن وبينما انا افعل ذلك قدمي لهذا الصبي شيئاً من الطعام.»

نظرت آنا إلى ميريندا بعينين ضيقتين، بينما كانت الهرة الصغيرة تخرج من داخل سترتها وقد احست بدفء المكان، فابتسمت آنا باشراق قائلة: «اعتقد انه يجب ان اقدم وجبتين.»

ضحك بول وابتعد عنها، ثم اجلستها آنا على مقعد إلى طاولة طويلة، وقدمت لها طبقاً من الحساء وكأساً من الماء. وهكذا كان نصيب الهرة الصغيرة.

تناولت ميريندا طعامها بنهم الجائع، ولكنها لم تكد تصل إلى نصف الكمية، حتى بدأ رأسها يتمايل نعاساً. وعاد بول في تلك الاثناء وهو يقف حول إحدى الطاولات ليكلم الناس الذين جاءوا للاحتماء عنده من العاصفة.

لكنه وبينما كان يمر باحدى الطاولات، وقفت امرأة طويلة القامة ووضعت يدها على ذراعه، ظهرت على وجهه البهجة والدهشة معاً وقال: «بيبل. اراك مازلت هنا.»

ثم سلم عليها مرحباً، ولأسباب تجهلها، ابعدت ميريندا نظرها عنهما، كأنما لم ترتح للترحيب الذي

رحب به بول تجاه تلك الامرأة وشعرت فجأة بأنها لم تعد جائعة.

«ومن تكون انت؟» قالت ذلك سيدة قصيرة القامة ذات شعر ابيض وقد وضعت على عينيها نظارة طبية، وشعرت ميريندا بأنها لا تستحسن وجودها بينهم.

اجابت ميريندا بحذر: «كنت في مبنى المدرسة.»

قالت السيدة بحدة: «في مبنى المدرسة، تعني مدرسة هاري لاين؟»

تدخل بول عند ذلك قائلاً: «كفي عن تحقيقاتك بأمر هذا الصغير إلى يوم الغد يا آنسة ماير، لأنه بحاجة إلى النوم.»

استدارت ميريندا نحوه بارتياح وكأنها تشكره، فنظر إليها وكأنه فهم الرسالة.

لم يبدُ الارتياح على وجه السيدة لوتي ماير، ولكن بول كان على حق في كلامه، وميريندا ليست مستعدة الآن لترد على اسئلتها. فقالت بصدق: «الخلود إلى النوم امر رائع الآن.»

«تعال معي اذاً.»

وقفت ثم ما ان بدأت تهم بالمسير حتى توقفت لتنظر حواليها.

سألها بول وقد نفد صبره: «ما الأمر؟»

«اين هرتي، لا استطيع ان اتخلى عنها خصوصاً بعد ان قطعت تلك المسافة البعيدة معي.»

اراد بول ان يضحك، لكنه احجم نفسه عن ذلك، ثم انحنى تحت الطاولة وحمل الهرة الصغيرة ليضعها بين ذراعي ميريندا قائلاً: «ها هي، لكنها اذا اماءت خلال النوم، ستكون انت المسؤول عنها.»

www.elromancia.com

قالت له بينما كانا يخرجان من المطبخ: «لكنها لم تفعل ذلك مساء البارحة.»

نظر إليها وقال ببرود: «كانت تدري مساء البارحة ما هو خير لها، فلو فتحت فمها لكنت قتلتها رأساً، كما ان ما حدث مساء البارحة من الأمور التي احاول ان انساها.»

تنهدت ميريندا قائلة: «اعرف.»

رفع حاجبيه متعجباً لردها، لكنه لم يتفوه بكلمة واحدة. ومشى امامها إلى السلم ومنه صعوداً إلى الطابق الأعلى، وكان كل شيء حولها يوحي بالثراء والغنى وبالاشياء القديمة والاثرية القيمة، انما كانت في حالة تعب شديد لتبدي اهتمامها بها.

فتح بول باب احدى الغرف وكان سقفها عالياً وقد فرشت بأثاث حديث غني، فدخلت ميريندا ببطء وهي لا تصدق ما تراه عيناها.

«هناك قميص في الخزانة يمكنك ان ترتديها لتنام فيها.» ثم تابع بنبرة كأنما لا يحثها فيها على القيام بها: «واذا كنت تحتاج إلى الاغتسال... فالحمام هناك في آخر الممر.»

قالت ميريندا: «شكراً لك.»

ثم وضعت الهرة على الأرض وجلست على حافة السرير وقد حولت نظرها إلى طاولة الزينة التي زينت فوقها العطور النسائية الفاخرة، فشعرت فجأة انها مازالت صغيرة السن. ثم قالت مفكرة بالحشد الكبير من الناس في المطبخ: «اعتقد انه لا يمكنني ان استحم.»

خيم صمت قليل ثم ضحك بول برانكو وكأنما ادرك ماذا كانت تقصد بذلك.

«لو ان الاعصار ضربت الخزانات، لكنا عانينا من نقص في المياه، ولكن من حسن الحظ ان شيئاً من ذلك لم يحدث. وانت تحتاج الآن إلى حمام يريح اعصابك المرهقة، انما انتبه كي لا تغفو داخله وتغرق.» وبعد ان انتهى من كلامه خرج من الغرفة واقفل الباب.

دخلت الحمام وبدأت تغتسل، فتذكرت هاري ضاحكة وقد تراءى لها وجهه المندهش في ما لو علم بأنها كانت تستحم بأفخر انواع الصابون. ثم قررت ان تفكر غداً بعذر تبديه له، اما الآن فلتهنأ بما سمحت لها به الاقدار.

وبعدما انتهت ودخلت غرفتها، جلست على كرسي وبدأت تسرح شعرها. وبينما كانت تستمتع بكل ذلك، فتح الباب فجأة وظهر منه بول برانكو قائلاً: «لقد اعتقدت نلك.»

شعرت ميريندا بالاحراج الشديد ولم تدر ما يمكنها ان تفعله في هذه اللحظات العصيبة.

فقال لها: «يا صغيرتي العزيزة، كان عليك ان تتوقعي اكتشاف امرك، خاصة بعد ان كنا على نفس صهوة الفرس.»

تأوهت كمن اصيب بصدمة شديدة وقالت: «كنت تعلم بأنني لست صبياً؟ لماذا لم تخبرني؟»

اجابها بول بقسوة: «متى كنت تريدين مني ان اخبرك؟ عندما كنا جالسين في خيمة واحدة، وكنت انت في حالة خوف شديد خلت وقتها انك فقدت القدرة على التنفس؟»

التقت نظراتهما ولم تستطع ميريندا ان تحول عينيها عنه، فتابع كلامه قائلاً: «لن يعرف احد انك كنت تخفين الحقيقة عندما تتركين مقاطعتي، لكن، وبما أنك هنا الآن...»

شعرت ميريندا بقشعريرة باردة تسري في عروقها وقالت: «لا افهم.»

قال لها: «الا تفهمين يا ابنة الاستاذ؟» ثم تقدم منها وأمسك يدها بقوة وعنف ونظر في عينيها نظرة حاقدة.

الفصل الرابع

ابتعدت ميريندا عنه وعيناها مندهشتان وقد تملكها شعور غريب لم تألفه في السابق، وفكرت في أن تصفعه على خده. لكنها لم تتمكن من القيام بذلك، وتراجعت إلى الوراء وهي في حالة ارتباك شديد.

ثم سألته: «لماذا فعلت ذلك؟»

أجابها وفي عينيه بريق: «كان عليك ان تعرفي عواقب الأمور.»

«عواقب الأمور؟» فكانت كأنها تلميذة في المدرسة وتجهل هذه الأمور كلها. لذا لم تلمح على ما بدا على وجهه من السخرية عندما طرحت السؤال عليه.

«رجل فتاة في الظلام والخطر يحيط بهما.»

«لكن...»

«يا لها من صدفة غريبة.»

نظرت إليه ملياً وقالت: «لا افهم... انما نحن في امان الآن، ولن نعود إلى تلك الغابة الموحشة، كما واننا لسنا بمفردنا، فالبيت يعج بالناس.»

«الآن، نعم، ولكن سبق وكنا بمفردنا مساء البارحة وطوال هذا اليوم، والعتمة والخطر يحيطان بنا، لذا فأنا لا استطيع ان أفعل شيئاً حيال هذا الأمر، سوى ان احاول كبح عواطفي.»

ماذا يريد ان يقول يا ترى؟ هل يمكنه ان يفكر بهذه

www.elromancia.com

الطريقة يا ترى؟ لقد فعلت المستحيل ليلة البارحة ولتقنعه بأنها فعلاً صبي.

قالت بعد ذلك ببرود: «ارى انك تفتش في الزوايا عن مشاكل غير موجودة لتفتعلها.»

قال باشمئزاز: «هناك دائماً مشاكل حيثما توجد امرأة جميلة.» ثم ضحك ليتابع كلامه قائلاً: «لا أعرف حتى اسمك لغاية الآن.»

قالت له: «ميريندا.»

انها لم تنتبه عندما دعاها بالجميلة، ربما لأنها لا تثق به ولأنها ايضاً غاضبة جداً من الكلام الذي وجهه إليها.

تشبثت ميريندا بموقفها وتابعت قائلة: «لا اعتقد بأنه يمكنك ان تفعل شيئاً الآن.»

قال لها بلطف: «وهل تظنين ان الخطر زال عنك الآن؟»

صححت كلامه قائلة: «الذي اعتقده، الخطر الذي تتحدث عنه لا وجود له الا في مخيلتك.»

«بعد كل ذلك، ارى انك ساذجة أكثر من اللزوم.»

رفعت ميريندا رأسها بتعالٍ وقد نسيت تعبها في نقمتها وغضبها منه، لكنها لم ترفع صوتها، فالمناقشة مع هاري علمتها الكثير.

قالت بهدوء وعذوبة: «أو ربما انك خيالي اكثر مما تصورت.»

ومضت عيناه بوميض غريب وقال: «آه، اوافقك على ذلك.»

تقدم منها بسرعة فنظرت إليه بتحد ثم قالت: «اذاً، اين هو ذلك الخطر الذي تتحدث عنه، من جانبك ام من جانبي؟»

نظر إليها متأملاً ثم قال: «أنت لا ترين الأمر جيداً، أليس كذلك؟»

كان ذلك بمثابة اهانة لها. وحدثتها نفسها ان تواجهه وتفهمه انها لم تعد تلك المراهقة الغبية التي تجهل هذه الأمور، ولكن شيئاً ما جعلها تتراجع عن ذلك لتقنعه اكثر بأنها فعلاً فتاة ساذجة.

«في الواقع انك تضخم الأمور، ولا ارى اية مشكلة الا في عقلك الذي يتصور اشياء واشياء.»

قال بسخرية: «ان المشكلة ليست في عقلي انا، كما وانها ليست في عقلك.»

«اذاً...؟»

قاطعها بقسوة: «المشكلة تكمن في داخلنا...»

اعترضت قائلة: «لكنك كنت تعتقد بأنني صبي.»

«هل كنت فعلاً كذلك؟»

«نعم، كنت.» ثم توقفت عن الكلام وقد تذكرت نبرة السخرية في صوته عندما كان يناديها بالصبي، وكيف انه ترك الخيمة لتتمكن من تغيير ملابسها وكيف كان يعاملها بنعومة.

ثم قال لها برقة: «لو انك عشت في اي مكان آخر عدا مع ذلك المجنون العجوز، لكنت لاحظت حالاً بأنني اكتشفت امرك منذ البداية. اسمعي، اريدك ان لا تخافي مني، فأنا لن اؤذيك.»

قالت بكبرياء وثقة: «انني لست خائفة منك.»

اجاب بسخط وغضب: «يا لكبريائك! وفي هذه الحالة يجب ان تحذري جانبي.»

تابعت ميريندا بتعال: «انك لا تشكل اي خطر علي.»

قال بسخرية: «آه، نعم انني هكذا، ولكنك لا تعرفين عني شيئاً بعد.»

وضعت ميريندا يدها على رأسها متعبة وقالت: «اسمع، انت لا تدري ما تقوله، واعرف تماماً انني منهكة، انما ذلك لا يعني انني فقدت السيطرة على نفسي...»

قاطعها قائلاً: «تتحدثين عن السيطرة على النفس بينما نحن وكأننا على فوهة بركان؟»

«ما تقوله ليس سخيفاً وحسب...»

عاد يقاطعها قائلاً: «لا استطيع مقاومة ما اشعر به.»

نظرت إليه بخوف، وبدأت ترتجف من الكلام الذي سمعته.

أخذ يراقبها بينما كانت تحاول ان تسترجع رباطة جأشها وقد رفع احد حاجبيه وكأنما كان ينتظر منها ان تقذفه باتهام ما، ولكنها كانت في حالة ارتجاف شديدة لتتفوه بأي كلام، انتظر منها أية مبادرة، لكنها لم تستطع ان تتحمل منه تلك النظرة الساخرة، فضحكت اخيراً بتردد واتجهت نحو الباب لتفتحه.

فقال بول برانكو ببرود: «ان توترك هذا كان مثلاً بسيطاً لما قد يحدث لو انفجر البركان الذي كلمتك عنه، تصبحين على خير الآن.» قال ذلك وخرج وهو يقفل الباب بعنف من ورائه.

استسلمت ميريندا للنوم بسرعة لشدة التعب، لكنها حلمت احلاماً مزعجة جعلتها تستيقظ منها. الحلم بأنها ما زالت معه في تلك الخيمة، واحياناً اخرى كانت ترى نفسها سجينة

في غرفة وفي قصر كبير، وان احداً كان يحاول ان يفتح الباب ليدخل غرفتها. واستفاقت بخوف شديد لتجد ان الأصوات لخلع الباب ما زالت مستمرة.

كان الصوت ناتجاً عن قوة الرياح وما تفعله بتلك الأبواب القديمة للبيت. جلست في سريرها وقلبها يطرق بشدة من الخوف، ففي الحلم كان الرجل الذي خلف الباب عدواً وليس صديقاً، بل كان يعرفها اكثر مما تعرف نفسها، وقد استعد لاستغلال هذه المعرفة لغرض قذر في نفسه.

أخذت تقول لنفسها مهدئة، انها ولأول مرة منذ عدة ايام تشعر بأمان وسلام وان ما يصوره لها عقلها ليس سوى اوهام لا صحة لها.

تحرك في تلك اللحظة شيء في سريرها، فقفزت ميريندا مرتاعة، واخذت تحاول في تلك العتمة ان تتبين من الذي يشاركها السرير.

ثم اخذت الهرة الصغيرة تموء بلطف، فاطمأن قلب ميريندا وقالت بارتياح: «هل أنت خائفة ايضاً؟»

أخذت تربت على رأسها الصغير، ولكنها تركتها بعد ذلك، فقفزت عن السرير واسرعت الى الباب لتقف امامه وتنبش بأظافرها في الأرض.

تأوهت ميريندا وقالت برجاء: «آه، لا تقولي بأنك تريدين الخروج الآن.»

ولكن الهرة تابعت تنبش باظافرها في الأرض دون توقف.

استسلمت ميريندا للأمر الواقع وقالت: «آه، حسناً، أعتقد أنك محقة في ذلك كأي شخص آخر.»

كان إلى جانب السرير باب زجاجي، ففكرت ميريندا انه من الممكن ان يؤدي إلى الشرفة، ولكنها بصعوبة استطاعت ان تفتحه. بدت الهرة فرحة بذلك ولم تكترث للرياح التي تلاعبت بشعرها الطويل، بينما ميريندا ارتجفت مفاصلها من شدة البرد.

استطاعت ان تتبين من الضوء الباهت للغرفة ان الشرفة تمتد على امتداد الطابق الأول. حملتها وأخذت تنظر حواليها لتجد مكاناً آمناً لها لتقوم بالذي ايقظها من اجله، بينما هي تتعثر بخطواتها من شدة النعاس والتعب، لاحظت درجاً يؤدي إلى الحديقة في الناحية الأخرى للشرفة، فمشت بذلك الاتجاه ووجدت ان هناك غرفة مضاءة، لم تستطع ان تشيح بنظرها عنها وهي تمر من جانبها.

كانت الغرفة تشبه غرفتها وكانت تشغلها تلك السيدة التي رحب بها بول بحرارة في المطبخ. رأتها تسرح شعرها الطويل الاشقر وتكلم احداً ما لم تتمكن ميريندا من رؤيته. حاولت الهرة في تلك الأثناء الافلات منها، فانزلتها في اول الدرج بينما كانت نظراتها لا تحيد عما يجري داخل الغرفة.

تبين لها بعد ذلك ان الذي تكلمه السيدة الشقراء كان رجلاً طويل القامة، لكنها لم تستطع رؤية وجهه. فتراجعت ميريندا واسندت قامتها على الجدار عندما سمعت صوت السيدة، فتحرك الرجل عند ذلك واقفل باب الشرفة.

عادت الهرة من مهمتها واخذت تربت على قدم ميريندا وهي تموء بارتياح، حملتها وحاولت اسكاتها بوضع اصبعها على انفها، ويبدو ان الهرة اعجبت بتلك اللعبة، فمدت قدمها الصغيرة وحاولت ان تبعد اصبع ميريندا بغنج ومرح.

أسرعت ميريندا بعد ذلك إلى غرفتها وقد اتضح لها أن الرجل الذي شاهدته في الغرفة لم يكن سوى بول برانكو. ولامت نفسها على تطفلها في مراقبتهما.

كان لما حدث تأثيراً عليها ولكن بطريقة مختلفة، فرؤية بول مع السيدة الشقراء، آلم قلبها.

لكن لماذا؟ سألت نفسها لعدة مرات، وهي مستلقية على السرير. هل لأنها رأت شيئاً لم تعتد ان ترى مثله؟ ام لأن بول برانكو كان يحاول ان يستغلها منذ ساعتين؟

قد تكون بريئة لدرجة السذاجة، كما يعتقد، انما من المؤكد ليست غبية. وعلى اية حال، لقد ارادت من تلقاء نفسها هذه المغامرة منذ البداية وعليها ان تتحمل نتائجها.

تقلبت بعد ذلك في السرير إلى ان غطت في نوم عميق.

حتى انها لم تستيقظ عندما فتح باب غرفتها وبقوة، او حتى عندما وضعت صينية الفطور على الطاولة الى جانب سريرها. واخذت تتقلب في السرير إلى ان فتحت عينيها فجأة، عندما فتحت آنا باب الشرفة لتدخل اشعة الشمس إلى الغرفة.

قالت ميريندا وهي ما زالت تشعر بالنعاس: «ماريا كلارا؟»

اجابت السيدة وهي تقف إلى جانب السرير: «لقد تركت لك السيدة بيبل بعض السكاكر والملابس. أما السيد فيقول انه يجب ان ترتاحي هذا الصباح، وسيراك على الغداء.» ثم خرجت قبل ان تستفيق ميريندا من نومها كلياً.

وعندما قامت اخيراً من السرير، ارتدت الملابس المستعارة التي اوصلتها إليها آنا وهي عبارة عن تنورة

وسترة. وكان اول من وقع بصرها عليه عندما نزلت الطابق الأرضي، لوتي ماير.

رفعت الطبيبة الالمانية رأسها عن ورقة كانت تقرأ فيها، وبدا وجهها قاسي الملامح.

شعرت ميريندا بأنها تتطفل عليها، وكان هذا شعوراً تشعر به دائماً في حياتها التي امضتها مع والدها، فقالت: «آسفة... كنت ابحث عن شيء اربط به شعري الطويل.»

استمرت السيدة تنظر إليها بوجه عابس، ثم تبدلت ملامحها فجأة وقالت: «آه. طبعاً. انك ابنة هاري، اليس كذلك؟ ما الذي تريدينه يا ابنتي؟»

اجابت ميريندا: «اي شيء اربط به شعري ان امكن.»

«بالطبع.» قالت الطبيبة ذلك واخذت تبحث في الكيس الذي على الطاولة الى أن وجدت ما تريده ميريندا، فتقدمت وناولتها اياه قائلة: «خذي، يجب ان اعترف لك بأنني لم اعرفك في البداية، لأنك مختلفة تماماً عن ليلة البارحة.» ثم حولت نظرها إلى الملابس التي ارتدتها ميريندا وتابعت قائلة: «اعتقد ان هذه الملابس تخص السيدة مارتينز.»

«في الحقيقة لا اعرف من تخص. لقد قالت لي مدبرة المنزل بأن احداهن اعارتني اياها، ولكنني لم اكن واعية تماماً لأعرف من تكون بالضبط.»

لوت الطبيبة ماير بشفتيها ثم قالت: «قد تكون ايزابيل مارتينز، فلا واحدة من الخدم تملك مثل هذه الملابس. كما ان السيدة مارتينز تمضي معظم اوقاتها في هذا المكان لعدم توفر سيدة مناسبة للبيت.»

فكرت ميريندا انها تشبه والدها تماماً، فقالت لها: «على اية حال، كان ذلك لطفاً منها.»

«يمكنها ان تتحمل دفع ثمن هذه الملابس، انها تنتمي إلى عائلة ثرية، كما وانني لا اعتقد ان برانكو ليس كريماً معها.»

ارتجفت ميريندا، ولكن رجفتها لم يكن سببه ما لمحت الطبيبة الألمانية إليه، انما لنبرة الضغينة والحقد في صوتها. فقالت بلطف: «وبالرغم من ذلك كله، اعتبر ذلك لطف منها ان تعير ملابسها لانسانة لا تعرفها من قبل.»

ضحكت لوتي ماير بخشونة ثم قالت: «آه، من المؤكد انها عرفت كل شيء عنك الآن.»

وجدت ميريندا نفسها فجأة تفكر بتلك الشقراء الحسناء التي كانت مع بول برانكو ليلة البارحة، وشعرت بشيء يقبض على صدرها.

ثم تابعت لوتي بخشونة: «هل تعتقدين انه يتصرف بأدب واحترام لأن بيته يغص باللاجئين؟ اذاً يجب ان تعلمي بأنه رجل لا يهتم لما يقوله ويفكر به الآخرون. ومن المؤكد ان والدك حذرك منه.»

بلعت ميريندا بريقها ثم قالت: «لا أذكر ان والدي جاء مرة على ذكر السيد برانكو.»

حدقت لوتي بها وكأنها لا تصدق ما تقول بينما تابعت ميريندا قائلة: «في الحقيقة، انه لم يأت على ذكر احد من الاوروبيين في هذه المنطقة، ماعداك أنت بالطبع. كما انك تعلمين ان والدي اخفى سر وجودي في المدرسة ولم يعلم بأمري احد لشدة حذره.»

ضحكت لوتي ثم قالت: «وكيف يكون حذراً بينما لم يحذرك من بول برانكو؟ لقد كان والدك يعلم جيداً اي نوع من الرجال يكون برانكو، كما انه كان يعتقد انه الشر بعينه. ولقد اضطر احياناً ان يبقى في هذا المكان عندما تكون طريقه عبر الغابة وهذا ما كان يزعجه دائماً.»

قال بول ساخراً وهو يدخل عبر الباب: «ربما لأنها افسدت اخلاقه.»

التفتتا باتجاهه، ولم يبد عليه الانزعاج للذي سمعه، بل على العكس بدا مسروراً.

توردت وجنتا ميريندا خجلاً وكأنها لم تستطع ان تمحو من ذاكرتها ما رأته ليلة البارحة في الغرفة القريبة من غرفتها.

نظرت لوتي إليه باشمئزاز قائلة: «لا يدهشني انه قد يشعر كذلك، خاصة وانتم تلعبون الورق تحت انفه ونظره، وفوق كل ذلك تقيم تلك السيدة في بيتك بصورة علنية.»

اجابها بول بهدوء: «تلك السيدة التي تتكلمين عنها، خاطرت بنفسها لتخلصك من وسط الأعصار والفيضان.»

تابعت لوتي تقول باشمئزاز: «عرض رائع لامرأة لعوب.»

«ماذا حدث لاحسانك كفاعلة خير يا عزيزتي الطبيبة ماير؟»

نظرت لوتي إليه بتحد وقالت: «انني لست بعزيزتك، فمن المؤكد انني الوحيدة في هذه المقاطعة التي ترفض منك ذلك.»

ضحك عالياً وقال: «اعتقد انك تبخسين بتقدير جاذبيتي ايتها الطبيبة، كما انني لا أقسو على أية امرأة.»

أجابته لوتي عند ذلك: «لم اسمع يوماً بأنك قسوت على امرأة لعوب.»

استند بول بقامته الطويلة إلى الحائط وقال: «هل قمت بدراسة حول حياتي؟»

أجابته لوتي وهي ترتجف من الغضب: «لست بحاجة لذلك، لأن ما تقوم به في العلانية ودون خجل.»

قال بول وقد لوى بقسمات وجهه ساخراً: «لو كنت مكانك لما كنت متأكداً بهذا الشكل.»

«انك لطالما لم تحاول اخفاء شيء في علاقاتك.»

لم يبدل بول شيئاً من ملامحه الساخرة المشمئزة، وشعرت ميريندا انه ليس مسروراً لما يدور من حديث بينه وبين لوتي.

ثم قال بأدب: «يدهشني انك تهتمين بحياتي الخاصة، ولا اعتقد انني بحاجة لكي اخبر ضيفتي بتفاصيل اكثر عن حياتي!» والتفت إلى ميريندا يتابع قائلاً: «كيف تشعرين هذا الصباح؟»

اجابته ميريندا: «بخير.»

ومضت عيناه وهو يقول: «لا جروح او حكاك، او حتى لا تصلب في العضلات؟»

ضحكت قائلة وهي لا تستطيع ان تنظر في عينيه: «تصلب، نعم. فكما قلت لك انها المرة الأولى التي امتطي فيها فرساً.»

«منذ متى لم تتلقحي بابرة الكزاز؟»

أجابت ميريندا بدهشة: «اعتقد مذ كنت طفلة، ولكن لماذا؟»

التفت الى لوتي ماير وقال: «هل رأيت، هناك امور مهمة للتداول فيها بدلاً من ان تتكلمي عن حياتي الخاصة. اطلب منك ان تهتمي بهذا الأمر قبل ان ترحلي، سأكون في غرفة المكتبة اذا احتجت الي... سأراكما وقت الغداء.»

انحنى لهما بأدب مبتسماً وكأنما كان يشكرهما لأنهما ستنفذان ما طلبه. ولم تتذمر لوتي بل خرجت مع ميريندا إلى عيادة خارج البيت قرب الاسطبل، واعطتها ابرة الكزاز التي اشار إليها بول.

ثم قالت لها: «الم تسمعي ببول برانكو قبلاً؟»

نفت ميريندا باشارة من رأسها.

«وما رأيك به بعد ان سمعت وتعرفت عليه الآن؟» سألتها لوتي بينما كانت تعالج جرحاً في عنق ميريندا سببه اصطدامها باحد الأغصان في الغابة.

فأجابتها بصدق: «انه قاس ومستبد جداً.»

«وجذاب؟»

هزت ميريندا بكتفيها دون مبالاة ولم تجب على لوتي.

وتابعت لوتي قائلة: «هل احسن معاملتك في الغابة الموحشة؟»

اجابت ميريندا بغباء: «لقد احسن معاملة كلاً منا.»

بدت لوتي مفكرة وهي تقول: «طبعاً، كما وانني اعتقد بأنه قد مر بتجربة جديدة لم يمر بها في حياته.»

قالت ميريندا وكأنها لم تفهم ما كانت ترمي لوتي إليه: «بل على العكس، وجدته يعرف الغابة جيداً.»

أخذت تعيد لوتي الأدوات الطبية التي استعملتها إلى مكانها ثم قالت ببطء: «قد تفكرين انه رجل بارد جداً لا يهمه

ان كانت افعاله قد تؤثر بالآخرين، انه بحاجة إلى فتاة توقظ فيه الضمير الحي، وان تكون طيبة وبريئة وتشعره بانه هو المسؤول عنها.»

«بالطبع، انه لن يعثر على فتاة من هذا النوع التي عادة تهرب من رجل على شاكلته، كما انه قد يؤذيها بطريقة مروعة. والمؤسف في الأمر، انه بالرغم من حياته المستهترة، فهو يخفي نواح طيبة فيه.»

وقفت ميريندا قائلة: «اعتقد ذلك.»

نظرت لوتي إليها بحدة وقالت: «لكن هذا الأمر لا يعنيك ولا يعنيني، اليس كذلك؟»

جهز طعام الغداء في صالة تطل على الحديقة ولم يكن بول قد حضر بعد، وجاءت آنا بصينية عليها العصير المنعش والسلطة المتنوعة، واعتذرت بأن السيد منشغلاً في مساعدة اللاجئين الجدد وبأنه سينضم إليهما بعد وقت قصير.

دخل إلى الصالة بعد ذلك برفقة الحسناء الشقراء، فشعرت ميريندا بتورد في خديها، بينما لوتي ماير بدت متضايقة من حضورهما.

قالت الشقراء بعفوية: «مرحبا، كنت ابحث عنك يا لوتي. لقد قال لي بول انه لم يعد هناك اي مكان لك هنا. لذا فعليك ان تغادري معي على متن طائرة مروحية بعد ظهر هذا اليوم. وسنجد بعد ذلك احداً لينقلك الى سانتا كروز.»

اكفهر وجه الطبيبة ولكنها لم تعترض، فقد كانت كلمات الحسناء ودودة لكنها صارمة، ثم قالت ببرود: «سأذهب لأحزم امتعتي اذاً.» ثم تركت الغرفة.

تنهدت الحسناء قائلة: «لا اعتقد بأن ذلك كان عملاً لائقاً يا عزيزي، لأنها كانت عازمة على البقاء إلى أن يهدأ الطقس.»

قال بول: «هذا يدهشني فعلاً، فهي تريد ان تبقى هنا لتتحدى طريقة حياتي وتحولني بعيداً عنها، ولقد اظهرت ذلك في مناسبات عديدة، ولكنني بصراحة اعتقد يا بيبل بأنها تسعى إلى ايجاد المشاكل بالرغم من انها طبيبة ممتازة. أريدها ان تخرج من بيتي حالاً.»

قالت له بيبل بلطف: «حسناً، لقد استطعت ان تخرجها من بيتك، ولكنها ليست سيئة كما تتوهم، وقد قامت بعمل جيد مع عمال المناجم.»

«ولكنها تلصق فكرة خاطئة لأي شخص ليس من طينتها. وقد كانت تخبر هذا الصباح كم أنا سيىء وشرير.»

فكرت ميريندا، انه من المؤكد سمع ملاحظات لوتي في العيادة، ولكنها ادركت بعد ذلك انه كان يشير إلى الحديث الذي دار بينه وبينها هذا الصباح، ولكن وعندما نشلت ميريندا نفسها من افكارها، وجدت ان بيبل تنظر إليها نظرة قاسية.

ثم تابع بول قائلاً: «ان هدفها الوحيد في هذه الحياة، هو ان تجعلني اقر باخطائي واصححها.»

أجابته بيبل باشراق: «على اية حال، فلن تجد فرصة لتحقق هدفها هذا.» ثم حولت نظرها إلى ميريندا وقالت مبتسمة: «اعرفك بنفسي طالما ان بول لم يعرفنا ببعضنا البعض، انني ادعى ايزابيل مارتينز. ولقد عرفت تفاصيل رحلتك الخطرة، فكيف تشعرين اليوم؟»

اجابت ميريندا بخجل: «انني بخير.» لكن بيبل استمرت تبتسم لها ابتسامة ملؤها الدفء والاهتمام، فردت ميريندا لها الابتسامة بالمثل وتابعت تقول: «لقد أصبت ببضعة خدوش، هذا كل ما الأمر.» ثم اخذت تتحسس الجرح في عنقها.

تابعت بيبل قائلة: «اذاً، ما الذي تنوين فعله في المرحلة المقبلة؟ لا اعتقد أن هناك مكاناً لك في الطائرة بعد ظهر هذا اليوم، لكننا نستطيع ان نوصلك إلى سانتا كروز بعد يومين ان اردت.»

قالت ميريندا بحيرة: «في الحقيقة لم افكر في هذا الأمر بعد. اعني لا ادري ماذا افعل، فكل ما فعلته لغاية اليوم كان بتوجيه من والدي.»

فكرت ميريندا، ان هذا الوضع سينتهي حتماً ولن تبقى تحت رحمة والدها، وكانت قد تشاجرت معه لعدة مرات في هذا الخصوص، ولكنها لن تخبر الغرباء بقصتها مهما اظهروا لها من الطيبة والرقة. وستعالج هذا الأمر مع والدها لدى عودته وللمرة الأخيرة.

نظرت بيبل إليها برقة وقالت: «اذاً، تريدين انتظار هاري؟»

«أ... أعتقد ذلك.»

نظرت بيبل إلى بول وكأنها تستشيره، لكنه بدا خال من اي تعبير يذكر، فسألته: «ما رأيك بذلك يا بول؟»

أجابها بعد لحظة تفكير: «لا يزعجني الأمر، فهناك غرف كافية، طالما انها لم تحاول ان تقنعني بالانخراط في تلك المدرسة.»

ضحكت بيبل بارتياح ثم التفتت إلى ميريندا قائلة: «هل توعدين بأنك لن تحاولي ذلك معه؟»

ابتسمت ميريندا قائلة: «هذا الشيء يختص بوالدي وليس بي.»

قال بول عندئذ: «هذا عظيم ولقد اقر الأمر اذاً. تبقى في الفازندا إلى أن يعود هاري ليقول لها ما تفعله.» ولاحظت ميريندا ان في نبرة صوته خشونة، لكن بيبل لم تلاحظ شيئاً من ذلك.

ثم قالت بيبل: «يبدو انه الخيار الأفضل، ولكن لنفترض ان هاري بقي غائباً لفترة طويلة، فماذا ستفعلين؟ هل يوجد وصي عليك في البرازيل؟»

شعرت ميريندا بالاهانة وقالت: «تقولين وصي؟ لقد بلغت الثالثة والعشرين.»

اصيب كل من بول وبيلي بذهول شديد، ثم قال بول غير مصدق: «في الثالثة والعشرين من عمرك؟»

بدا الانزعاج على ميريندا لذلك، ثم ولدهشتها وجدت بول يعتذر لها قائلاً: «آسف، ما الذي كان هاري ينوي ان يفعله معك؟»

تضايقت ميريندا وقالت: «ماذا تقصد؟»

قال بغضب شديد: «يحتجزك في مبنى المدرسة طوال تلك السنوات وكأنك تحفة اثرية، انظري إلى نفسك في المرآة فقد تدركين ماذا اقصد.»

تضايقت ميريندا اكثر وقالت: «لم أفهم.» ثم حولت نظرها إلى بيبل فوجدتها تحدق ببول وكأنها لا توافق على ما يظهره من الاهتمام بها.

ثم تابع يقول لميريندا بوحشية: «تبدين وتتصرفين مثل التلميذة، فتربطين شعرك وتقتنين هرة صغيرة. كنت اعتقد انك مازلت في السابعة عشرة من عمرك.»

قالت ميريندا: «وما المشكلة في ذلك؟»

بدا ساخراً هذه المرة وهو يقول: «ان طرحك لمثل هذا السؤال يؤكد نظريتي، لكنني اقول لك، لا يمكنك العودة الى تلك المدرسة بعد اليوم. بل عليك ان تختلطي بالناس وتتصرفي كفتاة ناضجة.» ثم وجه كلامه إلى بيبل: «ما رأيك يا بيبل؟»

هزت بيبل رأسها بعصبية قائلة: «اوافقك الرأي. ان وضعها المعيشي غريب. لكنني اعتقد ان ميريندا محقة في انتظار هاري وعندما يعود تقرر ما يوافقها، ومهما حدث، لن يستطيع ان يبقي وجودها امراً سرياً بعد اليوم.»

قال بول باشمئزاز: «لا، انني سأنظر في الأمر شخصياً.»

ولكن شيئاً ما في صوته جعل ميريندا ترتجف وتقول: «هذا لطف منك، لكنني ارجوك ان لا تتعب نفسك بشأني. فقد سبق وفكرت بالعودة إلى بريطانيا.»

نظرت بيبل إليها وكأنها تريد ان تتأكد من صحة كلامها وقالت: «هل فعلت شيئاً بهذا الخصوص؟»

ابتسمت ميريندا رغما عنها وقالت: «لقد تباحثت مع والدي في هذا الأمر.»

نظر بول إليها قائلاً: «يمكنك ان تتابعي مباحثاتك هنا في بيتي عندما يعود ذلك العجوز. كما وانني أرى أن مناقشات من هذا النوع تنفيذها أفضل بدعم معنوي مني.»

طأطأت بيبل رأسها وقالت: «انها فكرة جيدة، وابلغيني

إذا احتجت الي... بامكاني ان اتصل بعائلتك أو باصدقائك في بريطانيا ان اردت.»

شكرتها ميريندا، وبدت بيبل راضية بعد ذلك وكأنما المشكلة العويصة قد حلت. ثم اخذت تتكلم عن أعمال النجدة المتواصلة، إلى أن عادت لوتي لتتناول طعام الغداء معهم ومن ثم تتوجه إلى الطائرة.

خرج بول ليساعد بيبل في الصعود إلى الطائرة، وبوقت قصير كانت قد امتلأت بالمسافرين الآخرين. ثم اخذ بول يتكلم مع قائد الطائرة، بينما كانت ميريندا تشاهد كل ذلك من شرفة غرفتها، ثم عادت السماء تمطر بغزارة في تلك الأثناء، فأسرع بول راجعاً إلى البيت وقد بلله المطر.

ووصل إلى ميريندا ضاحكاً بالرغم مما فعله المطر بشعره وثيابه، وبدا مفعماً بالحيوية والنشاط، ولكنه لاحظ تغيراً في تعابير وجهها فسألها: «ماذا هناك؟»

نفت ميريندا بحركة من رأسها وهي تقول: «لا شيء.»

«هل أنت قلقة لأنك اصبحت بمفردك في هذا المكان معي؟»

نظرت إليه متعجبة وقالت: «بمفردي؟ لكن أنا... والخدم... هل تعني انهم رحلوا؟»

أخذ يقهقه ضاحكاً وقال: «لا، انهم ما يزالون هنا، لكنني اشك فيما لو أن الطبيبة ماير قد اقنعتهم برفقتها في رحلتها.»

«ماذا تقول؟»

أجابها: «اهذا ما يقلقك؟ لقد رأيتها قد اخذتك على انفراد لتكلمك.»

توردت وجنتا ميريندا، لقد حصل هذا بالفعل، وكانت لوتي تريد ان تذكرها بعدم ثقة هاري ببول برانكو.

«انها تشعر بأنها مسؤولة عني، خاصة وانها كانت احدى القلائل الذين يعلمون بوجودي.»

قال بول ببرود: «تشعر بمتعة في ان تتدخل بأمور الغير، لا تصغي إليها، فيكفيك احدهم قد افسد عليك حياتك، فلا تسمحي لأحد غيره ان يفعل ما فعله بك.»

قالت بهدوء: «ان والدي لم يفسد حياتي.»

قست نبرات صوته وقال: «لا؟ وهل كان يعجبك ان تمضي حياتك متخفية في الغابة، بينما اللواتي في سنك يتثقفون في الجامعات ويتمتعون بالحفلات وبالسفر عبر البحار؟»

«ليس الأمر كما تتوهم، فقد كنت انا صاحبة الخيار في مجيئي إلى هذا المكان، لأنني لم اكن سعيدة في بيت خالي. وما قدمه لي والدي، يستحق هذه المغامرة.»

فكرت ميريندا، كيف اكتشفت بأن عاطفة الأبوة كانت وهماً من الأوهام، لأنه كان قد نذر نفسه للتعليم ولفعل الخير دون ان يكترث لأمرها.

ثم قالت بحرقة: «لكن للأسف، المشروع لم ينجح، ولم تكن غلطة والدي.»

«وكيف تلقى قرارك بالرحيل؟»

تنهدت ميريندا وقالت: «انه لم يوافق عليه بعد.»

قال بول متأملاً: «اعرف ان هاري عنيد ومستبد برأيه، واعتقد أنكما كنتما تتشاجران بعنف عندما اعلنت عن قرارك بالرحيل.»

ابتسمت ميريندا بنعومة وقالت: «انك لا تتشاجر مع هاري لاين، ولكنك تفعل ما يطلبه منك والا تجاهل امرك تماماً... ولقد كان يتجاهلني كلياً في الفترة الأخيرة.»

كان بول يحدق في وجهها غير مصدق، ثم قال: «يا للعجب.»

شعرت انه اخطأ بتقدير والدها فقالت: «انك لا تدرك، صحيح انني امتنعت عن دراستي الجامعية وعن المشاركة في الحفلات الاجتماعية وهذا قد يجعلك تعتقد انني قليلة الخبرة، لكن الأمر لم يكن سيئاً إلى هذه الدرجة، ان الغابة علمتني على ان اعتمد وأثق بنفسي.»

لم يعلق بكلمة فتابعت تقول: «كان يقلقني امر واحد، وهو انني كنت أشعر أحياناً بوحدة قاتلة.»

نظر في وجهها متأملاً ثم سأل: «الوحدة؟»

«نعم، فليس من صديق.» قالت ميريندا ذلك بسرعة وهي لا تدري لماذا تبوح له بكل ذلك بينما لم تقل لأحد عن سبب معاناتها حتى ولا لماريا كلارا. ثم تابعت: «صديق يشاركني امري، الهو معه ولا يجعلني أشعر انني امام قاضي يحقق معي... آه، ما اقوله ليس سوى هراء، فوالدي لم يكن يتصرف كالقاضي معظم الأوقات. لكنني لا ادري لماذا كنت دائماً احلم بذلك الصديق المخلص... آه، ربما ما اقوله يبدو سخيفاً بالنسبة اليك.»

بدت عيناه تشعان نوراً بينما كان يتابع تأملاته فيها ثم قال بعد ذلك: «لا، أنت تتكلمين عن وحدة الروح وهذا امر مألوف لدي، ولكن الذي تجهلينه، انه يمكنك ان تشعري هكذا ايضاً، حتى ولو كنت وسط الناس، وفي

صخب المدينة يا ميريندا، ولن تكون حالك افضل مما أنت عليه الآن.»

ذهلت من كلامه ولم تعد تقدر أن تنظر في عينيه.

فتابع يقول بهدوء: «صدقيني.»

www.elromancia.com

الفصل الخامس

شيء ما اضطرب في داخلها مع انها قليلة التجربة في هذا المجال، بينما كانا ينظران إلى بعضهما نظرات عميقة.

وفكرت انه يبدو كالشرير الذي وصف به نفسه، لقد كان يحدق بها بعينين ضيقتين تلمحان بشيء غريب ومخيف مما جعلها تضطرب واحست بأنفاسها تضيق في صدرها. ووضعت بطريقة عفوية، يدها على عنقها وهي لا تدري ماذا تفعل مع استمرار الصمت بينهما، وهو لم يزل يحدق بها كمن اصيب بصدمة.

وتساءلت، كيف يمكنها ان تتصرف مع رجل مثل بول برانكو وهي لم تتعرف على اي رجل في السنوات الخمس التي قضتها مع والدها. كما انها لا تعرف ان تدافع عن نفسها في ما لو سبب لها حرجاً ما.

قالت بعد ذلك قاطعة الصمت بينهما: «لا تنظر إليّ هكذا.»

تلفظ باسمها من بين انفاسه، دون ان يحاول لمسها.

ابتعدت ميريندا عنه بعصبية وسألته: «لماذا كان والدي يصفك بالرجل الشرير؟»

تردد بول قائلاً: «من يدري.»

عادت تلتفت اليه وقالت: «انت تعرف جيداً.»

هز بكتفيه غير مبالٍ ثم لوى فمه اشمئزازاً وقال: «لم نتفق مع بعضنا على بعض الأولويات.»

هزت برأسها وبعصبية كأنها ترفض اجابته الغامضة تلك

وقالت: «لماذا تقول الأولويات وانت تعني المستوى الأخلاقي.»

لاحظ تورد خديها وقال: «اهذا ما فهمته مني؟»

أجابت باحتقار: «انت تعرف جيداً أنك كنت تعني كذلك.»

قال بلطف: «استنتاج رائع، انما على ماذا اعتمدت في استنتاجك هذا؟»

نظرت اليه دون ان يرمش لها جفن وقالت: «على الطريقة التي عاملتني بها.»

بدا عليه الاشمئزاز وقال: «تعنين لأنني اخرجتك من مبنى المدرسة والذي كان سيغرق بفيضان النهر، بينما والدك المحترم تركك لتتقي الأخطار بمفردك؟»

هذا ما آلم ميريندا ومازال يؤلمها من دون شك، ولكنها رفعت رأسها بتعال وكأنها لا تريده ان يعلم كم ان ذكرى والدها تؤثر بها، وقالت: «لا. بل انني افكر بالطريقة القاسية والمخيفة التي عاملتني بها ونحن في طريقنا إلى هذا المكان، خاصة ليلة البارحة.»

ضحك بول بلطف وقال: «آه، اذاً هذا ما يضايقك. ما الأمر يا عزيزتي؟»

اشتعلت ميريندا غضباً وقالت: «كيف تجرؤ على قول هذا؟»

أجابها ببرود: «آه، اجرؤ تماماً، ولكنني اريد ان اعرف هل انك فعلاً كذلك؟»

«لماذا؟»

امسك يديها بلطف وقال: «اسمعي يا ميريندا، انك مازلت صغيرة السن، ولقد عشت حياة غير طبيعية لمدة خمس سنوات. فأنا مستعد كي اعوض عليك كل ما فاتك، انما يجب

ان تعرفي بأنك لم تعودي طفلة، مهما يزرع هاري لاين في رأسك، فلا يجوز لك ان تتصرفي كالطفلة بعد اليوم.»

نظرت ميريندا اليه بحدة وقالت: «ماذا تعني؟»

«واجهي الواقع، فأنت فتاة جميلة تنضح بالحياة.»

شعرت ميريندا بالعار وتمنت لو باستطاعتها ان تضربه ضرباً مبرحاً لجرأته هذه، ولكنها تمالكت اعصابها.»

أخذت ميريندا ترتجف من الغضب، فتابع بول يقول: «اهدأي، فهذا ليس بالأمر غير الطبيعي. فلو كنت تعيشين في عالم متطور، لوجدت ان مثل هذا الأمر يحدث دائماً. ولهذا السبب يجب ان تقومي ببعض التجارب. ولكنني انصحك بألا تحاولي شيئاً قبل خروجك من هنا.»

صرخت ميريندا في وجهه قائلة: «انني لم أبدأ بشيء.»

قال مشمئزاً: «اوافقك على انك لم تبدأي بارادتك، ولكنك فعلته.»

سألته بتحدٍ: «كيف؟»

«اسمعي، يمكنك ان ترتدي ملابس الفتيان، أو ان تربطي شعرك مثل تلامذة المدارس، او حتى ترتدي ثياباً تفوق قياسك، ولكن اي من ذلك لن يغير شيئاً من طريقة تحركاتك كفتاة او من طريقة نظرة الرجل اليك.»

اغرورقت عينا ميريندا بالدموع لشدة غضبها من وقاحته، ولكنها استطاعت ان تمنعها من الانهمار امام نظره، ثم قالت: «لماذا لم تتركني ارحل مع السيدة مارتينز؟»

تنهد قائلاً: «لم يكن هناك مكاناً لك في الطائرة المروحية.»

قالت ميريندا: «لم تكن لوتي ماير ترغب في الرحيل، وقد كان يمكنني الرحيل مكانها.»

اجابها بول بعد صمت قليل: «لقد رأت بيبل انه من الافضل ان تكون قريبة من المستشفى في حال حدث اي طارىء يستدعيها كطبيبة.»

لقد كان ثمة شيء في نبرة صوته مما جعل ميريندا حائرة في أن تصدقه او لا. وتساءلت لماذا يبقيها في فازندا طالما انه اشار اليها وبطرق عدة بانه يريدها بعيدة عن هذا المكان. وقبل ان تتمكن من ان تقول اي شيء، بادر بالقول: «لكن وعندما تنتهي حالة الطوارىء هذه، ستكونين اول من يستقل الطائرة الى سانتا كروز، صدقيني.»

سمع في تلك الاثناء اصواتاً تناديه في البيت، فأدار رأسه وهو يحكه مفكراً.

قالت بصوت اجش: «سأبقى بعيدة عن طريقك في الوقت الحاضر.»

نظر اليها بعمق ثم قال: «يمكنك المحاولة.»

واسرع بالخروج قبل ان تتمكن من ان تطلب تفسيراً لقوله الأخير، واخذت تنظر اليه مبتعداً وهي تغلي من الغضب.

انها لم تره بعد ذلك، كما انها لم تقم بأية محاولة لتبقى بعيدة عن طريقه، وقد اخبرتها آنا انه خرج إلى المزارع ليسعف المصابين والذين جرفت السيول منازلهم.

ثم اخذ يتدفق عدد من اللاجئين إلى الفازندا وهم في حالة رعب ويأس وتعاسة، بينما بقيت آنا جاهزة ومستعدة لتوفر لهم الطعام والراحة. وتطوعت ميريندا لمساعدتها ورحبت آنا بها ولم تبد اي اعتراض لذلك. ثم قالت وهي تنظر

إلى الغيوم السوداء: «ستسوء الاحوال الجوية مرة اخرى هذه الليلة.»

قالت لها ميريندا بخوف: «كيف يمكنك معرفة ذلك؟»

أجابتها آنا بصراحة: «انا لا يمكنني، ولكنني عرفت ذلك من السيد قبل مغادرته، ولقد ذهب إلى خليج غاليسيا ليرى اذا كان هناك من يحتاج إلى المساعدة ولا يتوقع حضوره هذه الليلة.»

ارتجفت ميريندا وقد عادت بها ذكرى رحلتها خلال الاعاصير والرياح الشديدة، فهي مهما سيحدث لن تعاود الخروج في مثل هذه الاحوال، اما بول برانكو، فبالرغم من انه رجل ساخر وعابث، فهو رجل شجاع ايضاً. فهو الآن وفي مثل هذا الجو العاصف خارج بيته يحاول انقاذ الناس كما انقذها هي بالذات.

نظرت آنا اليها بعطف كبير وقالت: «سيكون السيد بخير، فلطالما قام سابقاً بمثل هذه الخطوة. كذلك عندما يتوه بعضهم في الغابة فإنه يسرع إلى نجدتهم، ويعرف تماماً كيف يتجنب المخاطر.»

قالت ميريندا على الفور: «انني اكيدة من ذلك. كما انني لم أرَ رجلاً مثله في حياتي كثير الثقة بذاته ومغرور يتمتع بقلب جليدي لا يقهر.»

حولت آنا نظرها وقالت: «والآن، وبما انه لن يعود هذا المساء، ستكونين وحدك وقت العشاء، ففي اي وقت تريدينه؟»

رفضت ميريندا ان تتعشى وبقيت لتساعد في توفير الراحة للاجئين الجدد. فوزعت عليهم وحسب ارشادات آنا،

البطانيات والملابس الناشفة. وعندما لم يعد هناك من شيء لتساعد فيه، عادت إلى غرفتها ولكنها لم تستطع النوم. اخذت تلهو بالهرة الصغيرة التي كانت تستعمل سرير ميريندا لتمضي وقتها بالنوم.

لاحظت بعد ذلك مغلفاً على الطاولة إلى جانب سريرها، فاحست باختلاج في صدرها، وتساءلت هل كتب بول برانكو لها رسالة؟ هل ندم على خشونته وغروره معها؟ هل يريد ان يقول لها اشياء لم يستطع ان يقولها وجهاً لوجه؟

تناولت المغلف بيد مرتعشة واخذت تحدق به، ولاحظت انه كان معنوناً بطريقة لبقة على الطراز القديم، لذا تأكد لها ان صاحب الرسالة من المستحيل ان يكون ذلك المغرور والمستهزىء بول برانكو. فتحت المغلف بسرعة وافضت الرسالة ونظرت فوراً إلى الامضاء في اسفلها، ثم قطبت حاجبيها بعد ان فهمت انها من لوتي ماير. وقد جاء في الرسالة.

ابنتي العزيزة،

«انني اشعر بعدم الارتياح لأنني تركتك وحيدة في فازندا برانكو. صحيح ان آنا امرأة طيبة، ولكنها نذرت نفسها لخدمة بول برانكو، اريد ان اخبرك بأنه ليس بالرجل الذي يعتمد عليه. كما انني اشعر انه من واجبي ان احذرك منه خاصة وان والدك مازال غائباً.»

تنهدت ميريندا، وفكرت، ان لوتي تحذرها منه ايضاً، وعادت إلى رسالتها التي شعرت بأن كلماتها كتبت بنبرة حادة: «اعرف ان والدك يعتقد بأن بول برانكو رجل شرير.»

ارتعشت ميريندا فسقطت الرسالة من يديها وقالت: «أجل،

شرير.» وتذكرت كيف ان والدها وصفه بالرجل الشرير وهذا ما كانت تحاول ان تتذكره عندما كانت في الغابة مع بول بينما كان يقول لها انه صاحب الخريطة.»

أخذت ميريندا ترتجف وقد وصلت بأفكارها إلى هذا الحد.

ان عائلته نبذته وطردته من حياتها بعد ان اعطته حصته من الميراث وكانت فازندا برانكو. ولكن ما هو العمل الذي اقترفه بول لكي تفعل به عائلته ما فعلت؟ ثم عادت إلى رسالة لوتي التي جاء فيها ايضاً: «وبعد ما حصل بينه وبين امرأة أخيه، فلن يكون هناك أي ضمان لسمعة أية امرأة. انه لا يحترم مشاعر الفتيات البريئات، وقد تعرضت انت بالذات يا ميريندا للأقاويل بمجرد ان قضيت معه ليلة في الغابة. ان برانكو لا يهتم لما يقوله الناس عنه، لكن والدك سيهتم ويهز كيانه هذا الأمر، وكذلك بعض الناس الآخرين. لذا ارجوك ان تأخذي حذرك منه يا عزيزتي، والا فانك ستندمين كل حياتك.»

وتساءلت ميريندا ماذا حصل بينه وبين امرأة اخيه يا ترى؟ لكنه كان يتصرف معها بطريقة قاسية وجافة ولم يخدعها. ولنفترض ان ما يقوله والدها وتقوله لوتي صحيحاً، فهذا يعني شيئاً واحداً. وقالت بصوت عالٍ: «من المحتمل أنه كان مغرماً بامرأة اخيه.»

اذاً، هذا هو السبب الذي دفع بعائلته كي تنبذه من حياتها.

وسقطت الرسالة على الأرض بينما وقفت ميريندا واتجهت نحو النافذة، وهي تتساءل، ما الذي دفع بول ليغرم بامرأة أخيه. وشعرت بألم من ذلك لم تدر له سبباً.

ونظرت عبر النافذة حيث المطر مازال يتساقط غزيراً والغيوم السوداء تحجب السماء، وعادت تتساءل، هل هو الآن في مكان ما والتعب والبرد قد انهكاه وقد نصب خيمة لأحد المساكين كما فعل معها؟

تألمت واخذت ترتعش وقد وصلت بأفكارها إلى هذا الحد، فابتعدت عن النافذة وهي تقول بصوت عالٍ: «ان ما يحصل لي سببه الغيرة، فأنا اغار عليه. لماذا يحصل لي ذلك؟» ثم حملت الهرة الصغيرة وخرجت من الغرفة مسرعة.

ولما عاد بول بعد ساعة من ذلك، وجدها جالسة على مقعد في غرفة الجلوس تقرأ في كتاب.

وقف مكانه عندما رآها وهو ينظر اليها بفضول، فرفعت ميريندا رأسها وقد تورد خداها بعدما التقت نظراتهما. ثم قالت: «هل انت بخير؟ وكيف كانت الأمور معك؟»

«لا شيء، ويبدو ان سكان خليج غاليسيا كانوا قد غادروا منازلهم قبل ان يبدأ فيضان النهر، كما انه لم يبد اي اثر يدل على ان هاري كان هناك.»

جفلت ميريندا، انه لم يخطر ببالها ابداً انه كان يبحث عن والدها. وقالت: «آه، هل كنت تعتقد بأنك ستجده هناك؟»

«انك لا تعرفينه بما فيه الكفاية، اليس كذلك؟»

لاحظت ميريندا السخرية بنبرة صوته جيداً وقالت: «اعرفه بقدر ما فيه الكفاية.»

«نعم، اعتقد ذلك. لكن، الم يخبرك شيئاً؟ اعني ماذا كان يريد ان يقوم به او إلى اين هو ذاهب؟»

نفت ميريندا بحركة من رأسها وقالت: «لا، ذلك كي لا اضيع وقتي وانا افكر بأمور لا تستحق التفكير بها.» ثم

ضحكت فجأة وقد تذكرت شيئاً وتابعت تقول: «تصور أنه كان يعتقد بأنني امضي اوقاتاً طويلة وانا اقص القصص والحكايات على الاطفال، بينما كان يجدر بي ان اعلمهم الجغرافيا معظم الوقت.»

ابتسم بول ونظر ملياً اليها ثم سألها: «ألم يذكرني ابداً امامك؟»

«لقد قلت لك انه لا يخبرني شيئاً، ربما لأنه كان يخشى ان اناقشه واجادله، فهو يعتقد ان العالم مليء بالخونة.»

أجاب بول بنبرة شكوكية: «بمن فيهم انت؟»

عضت ميريندا على شفتها، فوالدها لم يبدأ الشك فيها الا عندما بدأت تتباحث معه بأمر مغادرتها لمبنى المدرسة، ومنذ ذلك الوقت صارت تشعر بأنه ابتدأ يخفي عنها اموراً كثيرة.

قالت له بحذر: «لقد اصبح عديم الصبر مع الذين لا يشاركونه معتقداته بكل تقدير واحترام.»

سألته ميريندا بفضول: «منذ متى تعرف والدي.»

«من قبل أن تعرفيه انت، هذا اذا كنت لم تلتق به سوى منذ خمس سنوات. فلقد بدأ تجواله في هذه المنطقة منذ خمسة عشر عاماً، ولم أكن املك هذا المكان بعد، وكنت التقي به في الغابة يفلح الأرض ليزرع الطماطم، فأحاول ان اثنيه عن تلك الاعمال.»

وفكرت ميريندا كيف انها لم تحاول مرة ان تثني والدها عن اشياء كان يريد القيام بها طوال تلك الفترة التي عاشتها معه.

ثم سألها بول فجأة: «لماذا جئت إلى هذا المكان في الاساس؟»

لم تكن ميريندا مستعدة لمثل هذا السؤال، فاجابت محاولة التملص من الاجابة: «لذلك قصة طويلة.»

حول بول نظره إلى النافذة بينما ابتدأت الرياح تهب من جديد وقال: «سوف تكون ليلة قاسية وعاصفة، ولن اذهب إلى اي مكان.»

وعاد ينظر إليها بتكاسل قائلاً: «حسناً؟ لقد كنت في ذلك الوقت في حوالي الثامنة عشرة من عمرك، وهذا يعني انك اصبحت ناضجة لتفكري في ان تهربي من عائلتك.»

شعرت بقلبها يخفق بشدة وقالت: «كيف عرفت بأنني كنت احاول الهروب من شيء ما؟»

اجابها باشمئزاز: «اعرف ان هاري رجل لا يمكن العيش معه بتاتاً، لكنك ربما مررت بظروف صعبة ويائسة لتتقبليه. فما هي هذه الظروف اذاً؟ هل لانك فشلت في امتحانات المدرسة؟ او هل صدمت بصداقة احد الفتيان؟»

وعندما لم تجب تابع يقول: «ماذا فعل بك ذلك الفتى؟ هل تخلى عنك بعدما اشبعك بالوعود والآمال؟ ولكن الا تعتقدين ان قبولك لان تكوني مع هاري في غابة الأمازون، كان خياراً قاسياً وعنيفاً؟»

تضايقت من كلامه وشعرت بالحرج وقالت له بتحدٍ: «لقد كان ذلك الفتى ابن خالي ويعيش معي في نفس البيت، واعتقدت بأننا سنتزوج في يوم من الأيام.»

رفع بول حاجبيه ولم يستطع ان يخفي دهشته من ذلك، ثم قال: «اعتقد انك كنت مغرمة به.»

هزت بكتفيها دون مبالاة وكأن الأمر لم يعد يهمها الآن وتابعت تقول: «لقد توفيت والدتي وانا في الثانية عشرة من

عمري، فعشت حياتي في بيت خالي وقد كانت العائلة لطيفة معي لكنهم احتاروا في امري، فأنا لم اكن املك مالاً، ومدخولهم الشهري بالكاد يكفيهم، لذا فقد شعرت انني عبئاً عليهم. ثم جاءني استدعاء والدي لي ويقول بأنه يحبني وانه قد حان الوقت لنتعرف على بعضنا البعض.»

خيم صمت قليل ثم قال بول: «متى اكتشفت بأنك اخطأت بالمجيء اليه؟»

«من الصعب تحديد ذلك، لكنني استطيع القول ان الأمر لم يكن كما توقعته وأنه فعلاً يحبني حباً أبوياً صافياً. وبعد ذلك لم يعد الأمر يقلقني وقد متعت نفسي بتعليم الأولاد. لقد فهمت اشياء اخرى، مثلاً ان والدي لم يكن يحترم احداً، وكان هناك عالم وهو الذي اراني الخريطة لأول مرة. لكن وعندما علم والدي بالأمر، طرده من المبنى.»

فقال بول: «انه العالم رولف بولس، لكنني اتساءل لمَ لم يأت على ذكرك مرة، ربما لأن هاري طرده قبل ان تسنح له الفرصة بذلك.»

اتسعت عينا ميريندا وقالت: «اتعتقد انه طرده لأنه اراني الخريطة؟»

«ربما يكون ذلك. ألم تري أحداً خلال الخمس سنوات عدا هاري وذلك الخادم والأولاد؟ ولا حتى لوتي؟»

«لا، ولكن كانت هناك معلمة غيري من القرية تعرفت عليها وأحببتها، وكانت تعلم اولاداً اصغر سناً من الذين اعلمهم وكانت تعرف بطبعها المرح، فأزعج ذلك والدي وابعدها عن المكان.»

تمتم بول قائلاً: «هذا يفسر الأمر.»

نظرت ميريندا اليه قائلة: «ماذا؟»

«هذا لا يهم، لكن ماذا عن لوتي؟»

«كان يتكلم عنها في بعض الاحيان، ولكنه في الحقيقة لم يكن يستحسنها. ويعتقد انها فضولية وكثيرة التساؤلات.»

قال بول: «اخيراً هناك امر يمكنني ان اوافق هاري بالرأي فيه. ولو خيرت، لما سمحت لها ان تدخل بيتي، كيف اتفقت معها؟»

اجابت ميريندا: «لقد ابدت بعض الاهتمام بي، ولكنني اقر ان ذلك كان بدافع الفضول لا أكثر.»

تنهد بول بحدة ثم قال: «ماذا فعلت لاستحقها هي وهاري في ارضي؟»

وبدا عليه الاشمئزاز والقرف من ذلك، فلم تستطع ميريندا منع نفسها من الضحك. فقال عندما هدأت: «يجب ان تضحكي وتروحي عن نفسك دائماً، وآمل ان لا تكون قد احبطت عزائمك، فهل اغضبتك؟»

جفلت قائلة: «ماذا؟ لا ابداً.»

«الم تثرثر امامك بخصوص تلك الليلة التي قضيناها معاً في الغابة؟»

احتارت ميريندا في ما تقول وقد تذكرت الرسالة التي تركتها لها لوتي، ثم قالت: «حسناً. لقد...»

فقال بول بهدوء: «اخبريني بالحقيقة يا ميريندا.»

شعرت بالحرج وحولت نظرها عنه ثم قالت: «لقد تركت لي رسالة تحذرني فيها...»

«تحذرك مني؟»

طأطأت برأسها دون ان تجيب.

«اعتقد انه كان عليّ ان اتوقع شيئاً كهذا، لكن ما يدهشني، هو كيف تركتك معي. ربما لأنها اعتقدت بأن فتاة مثلك يمكنها أن تقاومني. علي أي حال، لا يدهشني لو انها حرضتك عليّ.»

بدا التوتر على ميريندا وقد تذكرت تلميحات لوتي بخصوصه في العيادة وما جاء ايضاً في رسالتها.

اساء بول فهم ارتباكها وتوترها، مما جعله ينطلق ضاحكاً بصوت عالٍ. ثم قال: «حسناً، لكن اياك ان تجربي شيئاً معي، لأن محاولاتك ستبوء بالفشل.»

الفصل السادس

اخذت ميريندا تراجع كلماته الأخيرة الساخرة لمرات عديدة في رأسها عندما عادت إلى غرفتها.

لماذا كان يؤكد لها بأن محاولاتها ستبوء بالفشل؟ هل لأن أحداً غيرها حاول معه ولم يفلح؟ او هل ان هناك شيء ابعد من ذلك، يحاول بواسطته ان يحذرها في ان لا تتدخل بأموره الشخصية؟ وتذكرت تحذيره لها ليلة البارحة وفي هذه الغرفة بالذات.

حولت نظرها إلى البابْ الذي دخل منه ليلة البارحة، فهل يا ترى سيأتي إليها هذه الليلة ايضاً؟ واذا اتى، ماذا ستقول وتفعل؟ او ماذا سيفعل هو؟ واخذ قلبها يخفق بشدة وقد وصلت بأفكارها إلى هذا الحد.

قالت في نفسها: لقد حذرني بول ان لا اتدخل بشؤونه، وكذلك لوتي حذرتني منه عندما اتيح لها ان تكلمني، وايضاً عندما تركت لي تلك الرسالة، لقد نصحتني ونبهتني بتفاصيل وأسباب أخرى كي اتجنبه. وعرفت منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناي عليه بأنه رجل مغرور ومتكبر لا يبالي ولا يكترث لرأي أحد سوى ما يؤمن ويعتقد به.

جلست في سريرها وقد استقرت نظراتها على الباب، ولكن شيئاً في داخلها كان يرتعش والبيت غارق بالسكون، ما عدا قرقعة النوافذ بفعل الرياح في الخارج. لكنها

استغرقت في النوم اخيراً وحلمت بانها في الغابة مرة اخرى، خائفة وقد تاهت فيها ولا تجد مخرجاً لتخرج منها.

استفاقت في اليوم التالي وقد سكنت الرياح، فتحت باب الشرفة، وهي تحس بنذير شؤم في نفسها لا تدري سبباً له. ثم قررت النزول إلى الطابق الأسفل، فارتدت الملابس المستعارة وخرجت من الغرفة.

كان بول في تلك الاثناء يهبط الدرج امامها، فتوقف ونظر إليها وقال مازحاً: «صباح الخير، ارى انك بدأت تستردين عافيتك بعد الذي اصابك في الغابة.»

ابتسمت ميريندا وقالت: «لا اشعر انني تعافيت من ذلك بعد.» ثم تذكرت امراً، فقالت ضاحكة: «انكر انني قلت لماريا كلارا قبل يوم من بدء العاصفة، بأنني ارغب في مغامرة جديدة.»

«احذري من التمنيات من هذا النوع، فقد تتحقق.»

تنهدت ميريندا ثم قالت: «معك حق.»

قال: «لا تكوني مكتئبة إلى هذا الحد يا صغيرتي، اما الذي حصل لك في الغابة، كان بمثابة درس مفيد تلقيته.»

تذكرت ميريندا عند ذلك كل الدروس التي تعلمتها على يدي بول برانكو، فأخفضت بنظرها وقد زعجتها تلك الذكريات.

أخذ بول يحدق في وجهها ملياً ونظراته استطاعت ان تنفذ إلى داخلها، ثم قال بلطف: «تذكريها دائماً.»

تراجعت خطوة إلى الوراء وهي تقول: «انا سأتذكرها، ولكن انت، هل ستتذكرها؟»

فأجابها: «انت محقة، يجب ان اتذكرها.»

«نعم، يجب عليك ذلك.»

ضحك فجأة وعيناه ترقصان طرباً، فشعرت ميريندا بقوة فائقة تجذبها إليه. ثم قال واعداً: «سأتذكرها. والآن تعالي لتناول الفطور معي، ام انك تفضلين الانتظار لتصبح الشمس عالية؟»

ضحكت ميريندا ومشت إلى جانبه وهي تقول مازحة: «وهل تعتقد بأن الشمس ستشرق اليوم؟ لقد انتابني شعور غريب عندما فتحت باب الشرفة في غرفتي، شيء مخيف وكأنه نذير شؤم.» واخذت ترتجف من الفكرة.

نظر بول إليها وقال مهوناً عليها الأمر: «اعتقد ان ما تشعرين به هو، ملل من ارتداء نفس الملابس ليومين متتاليين، فكل امرأة مثلك تجد في ذلك امراً مملاً.»

هزت ميريندا رأسها تعترض وتنفي ما قاله.

قال بحزم: «انني اعني فعلاً ما اقوله، تعالي معي لنجد ملابس اخرى لك.» ثم امسك بيدها، فارتعشت وقد احست بشيء غريب في داخلها وسحبت يدها بسرعة.

لقد اعتقدت انه سيأخذها إلى حيث صناديق الملابس التي احضروها للاجئين من العاصفة. ولكنه لم يفعل كما تصور لها، بل عاد بها إلى الطابق الأعلى وادخلها إلى غرفة لم تدخلها من قبل منذ مجيئها إلى بيته.

عقدت الدهشة لسانها عندما دخلت ورأت الثراء والفخامة في الغرفة من الاثاث والسجاد الذي حيك باليد. ورأت بول يتقدم من خزانة كبيرة من خشب الجوز، ثم فتحها وقال: «هذه ملابس جدتي، لقد كان لها ذوق رفيع في اختيار الملابس الانيقة، ومن المؤكد بأنك

www.elromancia.com

ستجدين ما يناسبك من بينها.» ثم اخذ يضحك من ذهولها ودهشتها.

تابع يقول: «اختاري ما يعجبك وانا سأحضر بنفسي اشهى طعام في هذه المقاطعة.»

اخذت ميريندا تتفحص ملابس جدته معجبة ومندهشة، فمع قلة خبرتها بالماركات العالمية، ادركت بحسها الانثوي ان هذه الملابس تعود إلى اشهر مصممي الأزياء في العالم. استطاعت اخيراً ان تختار من بينها تنورة طويلة وبلوزة طرزت بحبات اللؤلؤ، ثم نزلت إلى الطابق الاسفل وقد شعرت بالخجل والسعادة في آن واحد.

استدار بول وقد كان يقف امام الموقد، واتسعت عيناه قليلاً او هذا ما تخيلته ميريندا، ولكن كل الذي قاله: «يبدو ان هناك جمالاً لم نلحظه في هذا البيت.»

جلست ميريندا إلى طاولة المطبخ وهي تشعر بالخجل ثم قالت: «لا شك ان جدتك كانت في غاية الجمال.»

رفع حاجبيه قائلاً: «لأنها في اعتقادك كانت مسرفة بأموالها على الملابس؟ على العموم، اعتقد ان هذا تصرف كل امرأة.»

قالت وكأنها ترفض ان توافقه الرأي: «اعني بأنها ملابس جميلة وبسيطة في الوقت نفسه.»

«هذا يدل على انها كانت تتمتع بذوق رفيع. كما انها هي التي الحت في بناء هذا البيت، ونسّقت الحدائق في الخارج، وقد ورثت كل ذلك عنها، حتى مهارتها وحداقتها.»

«هل ترعرعت في هذا المكان؟»

ضحك بول بلطف ثم قال: «لقد ترعرعت في الريو وفي

باريس وفي واشنطن. وعندما توفي جدي ترك هذا المكان لاسباب اخرى. بينما كان لوالدي توجهات اخرى في الحياة، فقد كان رجلاً يتعاطى السياسة ولا يستطيع الابتعاد عن حياة المدن.»

اخذت ميريندا تنظر حولها في المطبخ المنسق والمرتب، وقارنته بتلك الزاوية التي كانت تحضر فيها الطعام في مبنى المدرسة. ثم قالت: «هذا المطبخ فخم ولا يدل على البساطة الريفية.»

«اهذا ما تعتقدينه؟»

اجابته بصراحة: «هذا اذا ما قارنت ما في الزاوية التي كانت تسمى مطبخاً وبين فخامة هذا المطبخ.»

«والذي قد يتحول حطاما في اية لحظة لخطورة وهبوب العواصف.» فجأة لمعت عيناه بفكرة طرأت في رأسه فقال: «بما انك ترتدين هذه الملابس الجميلة، فما رأيك لو نتناول فطورنا بطريقة بروتوكولية؟»

لحقت به ميريندا، ففتح باباً يؤدي إلى غرفة طعام انيقة تطل على اجمل بقعة في الحديقة.

قال بول بلطف: «هيا استمتعي بهذه اللحظات، وسأطلب من آنا ان تحضر اربعة اصناف للفطور، تماماً كما كانا يفعلان جدي وجدتي مع ضيوفهما.»

كان يحدثها بلطف ورقة بينما كانت آنا تأتيهما بطبق تلو الآخر من البيض المقلي الشهي إلى الخبز المعد في البيت، إلى الفاكهة الطازجة. فانسحرت ميريندا بأحاديثه الشيقة ونسيت كل ما حدث لها من معاناة في وسط الغابة.

ثم قالت وكآبة الحرمان تتآكل في قلبها وهي تلمس

غطاء طاولة الطعام الفاخر: «من المبهج للنفس ان ينال المرء كل هذه النعم.»

«انا لم اكن اعرف بذلك.»

دهشت ميريندا من كلامه، فنظر إليها بعمق وقال اخيراً: «لقد اخذت فكرة خاطئة عني يا ميريندا. انني عانيت مثلك من الترحال والتشرد من مكان إلى آخر. ولطالما كنت وحيداً اطوف بالطرقات وفي بلدان غريبة، ولا يتسنى لي تناول الطعام الا عندما اعثر على عمل لاستمر طويلاً.»

توقف عن الكلام وقد لاحظ دهشتها من ذلك وتابع يقول: «لا تنظري الي هكذا. ولا يغريك ما تشاهدينه في الفازندا من اثاث فاخر، فأنا لم اولد ثرياً. لقد كانت والدتي تعمل في مطعم، ووالدي لم يتعرف علي إلا عندما بلغت سن العاشرة وجعله جدي...» ثم توقف عن الكلام وكأنه ندم على ثقته المتهورة بها.

اخفضت برأسها وقالت: «لم اكن اعلم ذلك.»

ثم زال الغضب عنه وقال بطريقة غير مبالية: «ولماذا يجب ان تعرفي؟ ان معظم الناس لا يعلمون بقصتي. خاصة انت، فأنت لم تعلمي بوجودي الا منذ ثلاثة ايام مضت. لا تتأثري بهذا كلياً، فحياتي لم تكن سيئة كما تتصورين.»

قالت باندفاع: «على الأقل، فوالدي لم ينبذني.»

ضحك بول وقال: «لا تحوليني إلى شهيد، فأنا لا اعتبر نفسي كذلك بالرغم من انني اصبحت مسؤولاً عنك.»

تدافعت انفاس ميريندا وهي تقول: «مسؤولا عني؟ ماذا تحاول ان تقول؟»

قدم لها قطعة من المانغا المقشرة وقال: «بالطبع أنا

مسؤول عنك، وقد حملت نفسي هذه المهمة في اللحظة التي طلب مني هايتر أن يأخذك معه يوم افترقنا في الغابة ورفضت منه ذلك.»

رفعت ميريندا رأسها بتعالٍ وقالت: «لا أنت ولا احد غيرك مسؤول عني.»

ابتسم ولم يتفوه بكلمة واحدة، فتابعت تقول بحدة: «انت لست مسؤولاً عني.»

فقال بلطف: «يا ليتني كما تقولين.» لزمت ميريندا الصمت وهي تنظر إليه بامتعاض بينما كان يسكب فنجانين من القهوة ويقدم واحداً إليها.

«اشربي هذه القهوة فقد تخفف من حدة توترك.» ثم نظر إلى ساعة يده وتابع يقول: «علينا ان نبحث في وقت من الأوقات بشأنك. اما الآن، فأنا على موعد مع هايتر في التلال العالية، ولقد جعلتني اتأخر عن ذلك الموعد.»

نهض من مقعده وهو ينظر إليها مبتسماً بسخرية وقال: «لا تعبسي في وجهي هكذا، لم يستطع احد قبل الآن ان يجعلني اتأخر عن شيء مماثل.»

ذهلت ميريندا وقبل ان تستوضح منه الأمر، كان قد خرج من الغرفة. واخذت ترشف القهوة على مهل فوجدتها كريهة المذاق للغاية.

لم يرجع بول حتى آخر النهار، وكانت ميريندا تساعد آنا بنشاط في المطبخ، وتسمع في بعض الاحيان اتصالات بول عبر جهاز اللاسلكي والتي كان يلتقطها مدير اعماله روبم ومن ثم يسلمها إلى آنا. كانت جميع هذه الاتصالات مقتضبة وسريعة دون ان يذكر اسمها فيها.

اخذت تساعد آنا بتقطيع وغسل الخضار. ولكن هذا العمل لم يستطع ان ينسيها كلامه الأخير لها، فماذا كان يقصد يا ترى؟

سألت آنا وقد اخذ النهار ينتهي ونفد صبرها: «اين هو الآن؟ ألن يعود هذا المساء؟»

بدا القلق على وجه آنا ولكنها اجابت ميريندا بلطف: «سيعود بالتأكيد اذا امكنه ذلك.»

قالت ميريندا بحدة مع انها كانت تعلمُ حق العلم انه من السخافة ان تتصرف هكذا: «وماذا عن العشاء الفاخر الذي حضرته؟ تحضرين كل هذه الاطباق الشهية له، بينما هو لا يكلف نفسه ويخبرك إن كان سيعود وقت العشاء.»

أشرق وجه آنا وقالت: «لا تقلقي، ففي اوقات عصيبة كهذه تبقين الطعام جاهزاً لتقديمه في اي وقت، فالرجل ياكل متى يستطيع.»

«ولكن...»

حولت آنا نظرها إلى خارج النافذة وتبدلت ملامح وجهها وهي تقول: «سنمر بعاصفة سيئة، لقد قال روبم ان النهر يفيض من جديد، ولهذا السبب نقلوا العديد من الناس إلى سانتا كروز.»

لم تشعر ميريندا بالطائرة المروحية تحط وتقلع طوال فترة بعد الظهر وهي تنقل الناس، وادركت الآن فقط، ان من بقي في الفازندا كانوا الخدم فقط.

بلعت ريقها بخوف وقالت: «هل نحن في خطر؟»

نفت آنا قائلة: «في هذا المكان؟ لا، اننا في مكان عال جداً، والنهر لا يعلو إلى هذا المستوى. انما قد ننعزل عن

العالم لبعض الوقت. لكنني لم ادرِ فيما لو كان عليّ ان ارسلك إلى سانتا كروز، فالطائرة لن تعود قريباً إذا ساءت العاصفة اكثر، لكن السيدة مارتينز قالت انه من الأفضل لك ان تغادري الفازندا وقد وافقها السيد الرأي، ولكنني لم اخبر روبم بذلك. ارجو ان لا يغضب السيد مني عندما يعرف ذلك.»

دخل بول في تلك الأثناء فالتفتت ميريندا إليه قائلة وكأنما تهيىء نفسها للشجار في ما لو يحاول التذمر من وجودها هنا بعد ان تم اخلاء المكان من الناس. «آه، لقد عدت، لقد مضى على اتصالك الأخير بعض الوقت، فهل هناك حالة طارئة؟»

كان التعب والارهاق باديان على وجهه وقال بتردد: «يمكنك قول ذلك، واخشى ان اقول لك ان هناك أنباء سيئة.»

حدقت ميريندا في وجهه وتساءلت ما قد تكون هذه الانباء السيئة؟ هل فاض النهر بقوة وغمر المنطقة أم ماذا؟ ولكنها قرأت في عينيه الحنان والشفقة عليها، فسألته وكأنما فهمت ماذا هناك: «والدي؟»

فأجابها برقة: «اخشى ان اقول لك نعم والدك.»

رفعت يديها الاثنتين إلى فمها وهمست: «آه، لا.»

«ليس هناك طريقة افضل لأخبرك بذلك، لقد حاول ان يأخذ مركبه إلى خليج صغير، ولكن يبدو انه انقلب به. لقد استطعنا ان نعثر عليه في هذه الليلة قبل ان تغرق جثته. آسف لذلك يا ميريندا.»

شعرت بتخدر شديد وقالت: «حسناً، اعرف انك بذلت ما في وسعك لتخلصه.»

امسك بكتفيها ونظر في عينيها وقال: «لا تتصرفي بهذه البرودة، بل ابكي او اصرخي في وجهي. افعلي اي شيء، اطلقي ما تشعرين به ولا تكبتين عواطفك.»

بقيت ميريندا جامدة لا تدري ماذا يمكنها ان تقول، حتى انها لم تعرف حقيقة شعورها.

اخذ ينظر إليها بعمق ثم قال بلطف: «قولي شيئاً يا ميريندا، كل ما تعتقدينه بي، فهذا ليس بالوقت الملائم لكبت مشاعرك. وكوني على ثقة بأنني لن انزعج منك لو صرخت في وجهي، فقط، لا تخرسي الآن.»

استطاعت ان تقول اخيراً: «انني لست اكيدة من حقيقة مشاعري.»

«يا لي من غبي فعلاً، بالطبع لأنك مصدومة الآن، تعالي معي إلى غرفة الجلوس وسآتيك بشراب منعش.»

اطاعته وذهبت معه وقد ادركت انه مهتم بها جداً. ثم قدم لها الشراب قائلاً: «اشربي هذا.»

اطاعته بصمت، ولكنها بعد ان جرعت منه قليلاً وضعته جانباً، فقطب بول حاجبيه.

همست عندما شاهدته على هذه الحال: «آه، لا. صدقني ارجوك، فأنا لا أستسيغ شرابه.»

مال نحوها وقال: «اترغبين ببعض القهوة اذاً؟»

بالرغم مما كانت تعانيه في داخلها، ابتسمت ابتسامة واهية وقالت: «تلك القهوة البرازيلية؟ لا، ارجوك، انها في الحقيقة لا تثير اهتمامي.»

فقال بول: «لا بد انك تناولت القهوة سابقاً؟»

فكرت بالقهوة التي قدمها لها هذا الصباح وقالت: «نعم،

انما ليست مثل القهوة التي تقدمها انت، قوية وحلوة كالدبس.»

«هكذا يشربها جميع البرازيليون، واعتقد انك كنت تهينين نفسك لشربك تلك القهوة البريطانية.»

«لا، انما والدي لم يكن ليسمح لنا بشرب القهوة بتاتاً، ولكنه كان يسمح لنا بشرب الشاي.» وتنهدت بعمق وقد احست بالألم يعصر قلبها. ثم صححت قولها: «لم يكن يحب القهوة.»

فقال: «آه، حقاً؟» ثم امسك بيديها وامرها: «ابكي.»

ووجدت ميريندا نفسها اخيراً انه يمكنها البكاء فعلاً، فأخذت تنوح وتبكي والدها إلى ان جفت الدموع في مقلتيها. وشعرت اخيراً بانهيار تام وبألم شديد في رأسها. ثم قالت: «آسفة لتصرفي هذا.»

نظر إليها بول مطمئناً ثم ناولها من جديد كأس الشراب المنعش وهو يقول: «لماذا نرهق نفسنا بالألم والحزن وكلنا سائرون على هذا الدرب الذي لا بد من سلوكه. اشربي هذا الآن.»

توجه بعد ذلك إلى الطاولة وسكب لنفسه كوباً من الشراب، ثم شربه دفعة واحدة. فأخذت ميريندا تراقبه بصمت فوجدت انه لم يحلق ذقنه والتوتر والتعب يسيطران على وجهه الوسيم.

فكرت ميريندا مشفقة، لا بد انه امضى وقتاً طويلاً قبل ان يعثر على والدها، مهما كانت حقيقة مشاعره تجاهه. من المؤكد انه شعر ايضاً بالتأثر والانهزام عندما اكتشف مكان جثة والدها.

ثم سألته فجأة: «هل كان مايزال بمفرده؟»

«نعم.» قال بول ذلك بينما كان يحدق بوجهه في المرآة.

ثم سألها فجأة: «الم يحاول اقناعك بالذهاب معه؟»

اجابته ميريندا: «لم يحاول لأنه كان يعلم حق العلم بأنني لا اوافق على ما يقوم به في الغابة.»

«حسناً. لكن، ما الذي كان يريد ان يفعله؟»

اطلقت ميريندا صوتاً اشبه بالغصة وكأنها بذلك تعترض على كلامه.

«آسف، لكنني اعتقد ان الرجل المسؤول لا يحق له ان يتوغل في الغابات ويتدخل في حياة الآخرين قبل ان يعي تماماً بمسؤولياته وواجباته.»

«مسؤولياته؟»

نظر إليها ملياً وقال مردداً: «نعم. مسؤولياته.»

احتارت ميريندا في امرها، انها تعلم ان والدها كان يشعر بالمسؤولية تجاه طلابه في كل الأوقات. ثم قالت بذهول: «ولكن...»

قاطعها بجفاف: «اعني ان يتركك يتيمة وانت لا لك امّ ترعاك، ولا مال عندك، او اصدقاء، وفي بلد غريب عنك.»

وتذكرت ميريندا فجأة انه سبق لبول واعتبر نفسه مسؤولاً عنها، وبما ان والدها توفي الآن، فإنه من المؤكد يعتبر نفسه مسؤولاً عنها اكثر من قبل.

فقالت بثبات: «يمكنني الاعتناء بنفسي...»

قاطعها بول قائلاً: «انت بخير الآن، لكن ماذا لو لم يأتِ هايتر وانا اليك؟ ماذا لو بقيت بمفردك في تلك المدرسة؟ أو تهت في تلك الغابة الموحشة؟ فمن كان سيأتي ليبحث عنك

طالما ان والدك أبقى وجودك سراً ولم يطلعه على احد؟ انه امر فظيع.»

هزت برأسها ببطء وقالت: «آه، لم افكر بذلك.»

«من حسن حظك، انه لا داعي لتشغلي بالك بهذا الأمر.»

عضت على شفتها ثم قالت: «الأنني الآن في بيتك، اهذا ما تقصده؟ لكنني لا استطيع البقاء طويلاً في ضيافتك...»

وتقطعت الكلمات على شفتيها وقد شعرت بالتعاسة في داخلها بينما حاولت ان تظهر البرودة وأنها قادرة على الاعتناء بنفسها، وتابعت تقول مصححة الأمر: «هذا لا يعني بأنني لست ممتنة لك، فأنا اعلم بأن فرص النجاة لم تكن لتتوفر لي من دونك.»

ولكن تصحيحها للأمر جاء اسوأ مما قالته سابقاً، فلانت بالصمت، وتساءلت لماذا كل هذا التأثير عليها؟ خاصة انه لم يستطع احد في هذه الحياة ان يؤثر عليها.

قال اخيراً: «اعتقد انه يجب ان تستمري بضيافتي في الوقت الحاضر.»

كادت ميريندا ان تعترض على ذلك، ولكنها توقفت وقد تذكرت شيئاً مؤلماً، فقالت: «ماذا سيتم بجثة والدي؟ اعلم انه سيكون هناك جنازة لها، انما لا اعرف ما هي العادات المتبعة هنا.»

قال بول بطلف: «سأقوم باللازم.»

«ولكن...»

«انه ليس بالرجل الوحيد الذي مات في هذه الظروف التي نمر بها، فلا تخشي شيئاً، فالتحضيرات لدفنه جاهزة.»

شعرت ميريندا بارتياح وقالت: «آه، شكراً لك.»

عادت الدموع تنهمر من عينيها فناولها بول محرمة. تناولتها بامتنان وهي تقول: «آسفة، لم اقصد ان اثير الأمر من جديد.»

«لا تعتذري، فلك عذرك للبكاء والعويل.»

نظرت ميريندا إليه وقد بدا عليه التعب الشديد والألم معاً، ثم وقفت قائلة: «معك حق، انما لن ازيدها عليك، لقد كنت اكثر من طيب معي.»

بدا الاشمئزاز على وجهه وقال: «طيب؟ اهذا ما تسميني به يا ميريندا؟ انني لست رجلاً طيباً، انني...»

قطع كلامه لدى سماعه اصواتاً في الخارج، وتابع يقول: «اسمعي يا ميريندا، لن استطيع البقاء معك اكثر، لكن لدي حديث طويل يجب ان نجريه معاً وسنتطرق إلى ما تريدينه او لا تريدينه. وعندها يمكنني ان اساعدك بالذي تنوين عليه. فمثلاً ان تلتحقي بأية جامعة او بأية وظيفة، او ربما ترغبين بالعودة إلى بريطانيا او إلى الولايات المتحدة، ولكنني لا استطيع الكلام بهذا الآن.»

رفعت ميريندا رأسها بتعالٍ وقالت: «انني اقدّر طبعاً كم انت مشغول، واشكرك لأنك اعطيتني من وقتك لتخبرني بشأن والدي بنفسك.»

تمتم بول وكأن صبره قد نفد منها، ثم قال: «لقد قلت لك انني لم افعل ما فعلته بسبب طيبتي، صدقيني. فأنا لم يكن هدفي الاحسان والمعروف لك، فلو انني لم ارغب بطيبة خاطري ان اخبرك بموت هاري، لكنت كلفت شخصاً آخر لذلك. وربما كنت كلفت بيبل، ولكنني اردت ان افعل ذلك من اجلك.»

لمعت عيناه الداكنتان وقد بدا كأنما نفد صبره، فاحتارت

ميريندا وتساءلت لماذا ينظر إليها بهذا الغضب، بينما كان قبلا يهتم بها؟

قالت اخيراً: «على العموم، شكراً لك.»

اقتربت الاصوات اكثر ثم سمع طرقاً على الباب، ففتحه لتظهر آنا بوجهها القلق وهي تقول: «يسألك المولج في القيام بخدمات الاستغاثة، ان كنت شاهدت هايتر دو كومبو.»

دخل في تلك اللحظات رجلان وتكلم احدهما بحدة وقلق، وعندما انتهى سأله بول: «منذ متى لم يظهر له اي اثر وأين؟»

اجاب احد الرجلين بكل ما يعرفانه، فقد شاهدا حصان هايتر يتخبط بحفرة عميقة من الوحل في احد ممرات الغابة المتعرجة، واستطاعا ان يخلصا الحصان وهو الآن بأمان في اسطبل فازندا، ولكنهما لم يعثرا على اي اثر لهايتر وقد يحل الظلام قريباً.

سأل بول عند ذلك: «هل استطيع ان اصل إلى هناك بسيارة جيب؟»

اظهر الرجلان شكاً بذلك، فقال بول لآنا: «في هذه الحالة، ليسرج حصانان لهذين الرجلين.» ثم تناول جهاز اللاسلكي وعلقه في حزامه، ثم ارتدى سترته السميكة وقد بدا عليه القلق التام.

قالت ميريندا باهتمام بالغ: «انك منهك القوى، افلا يستطيع ان يقوم احد غيرك في هذه المهمة؟»

نظر إليها بشرود وقال: «ما من احد غيري يعرف بتلك الغابة الموحشة وممراتها؟ هذا ما جعل هذين الرجلين يأتيان إليّ اولاً.»

«اترك الأمر اذاً ليوم الغد.»

قال بهدوء: «قد يموت هايتر في ما لو انتظرت للغد.»

تابعت ميريندا تقول بالحاح: «ليرافقك بعض الأشخاص اذاً، آه، انك حتماً لم تنظر في المرآة لترى كم هو منظر وجهك مروّعاً.»

ضحك بخشونة وقال: «آسف لذلك، ولكنني اعدك بأنني سأحلق ذقني غداً.»

«أنت تعلم ما اقصده.» ثم تقدمت نحوه وتابعت: «صدقني تبدو منهكاً جداً.»

قال عند ذلك برقة: «لا، حاولي ان تفهمي، ان هايتر صديقي، وحتى اذا لم يكن، فليس هناك من احد سواي يقوم بهذه المهمة.»

شعرت فجأة بأنها لا تستطيع ان تترك بول يذهب بمفرده إلى تلك الغابة الموحشة، فقالت: «خذني معك اذاً.»

نظر إليها بلطف وقال: «هذه لفتة طيبة منك يا عزيزتي، ولكنك لا تعرفين كيف سيكون الحال هناك.»

ارتجفت ميريندا قائلة: «تقول انني لا اعرف؟ لا تنسى بأنني كنت برفقتك منذ ثلاثة ايام.»

خيّم صمت رهيب في الغرفة بينما كانت النظرات تتبادل بين آنا وميريندا وبول. ثم ضحك بول فجأة وقال: «صحيح لقد كنت برفقتي، كيف استطعت ان انسى ذلك؟»

«ماذا اذاً؟»

«هذا لا يعني يا عزيزتي انك اصبحت خبيرة بأمور تلك الغابة الموحشة. صدقيني، وجودك معي هذه المرة سيشغل بالي كثيراً. ابقي هنا مع آنا وجهزي لهايتر غرفة مريحة، وتمني كي نعثر عليه سالماً.»

اغرورقت عيناها بالدموع وقد ادركت انه ما من شيء قد يغيّر رأيه، فقالت عند ذلك: «انتبه لنفسك اذاً.»

نظر إليها بمودة ثم ضمها إلى صدره قائلاً: «سأعود، انتظريني.»

«نعم، آه. نعم.»

ابتعد عنها وتابع يقول: «حاولي ان ترتاحي الآن، فأنا لا اعلم متى اعود.» ثم حول نظره إلى آنا ليقول: «تأكدي بأنها ستخلد إلى النوم.»

اجابته آنا: «حاضر يا سيدي.»

ثم تابع بالحاح: «اهتمي بها جيداً.»

خرج بعد ذلك ولحق به الرجلان وقد تأثرا بما سمعاه وشاهداه، فأخذت ميريندا تحدق بالباب الذي خرج منه بينما كانت تتسارع دقات قلبها.

قالت آنا عند ذلك: «الأفضل ان تفعلي بما يرغبه.»

شعرت ميريندا بسعادة كبيرة وقد ادركت انها تحبه حباً كبيراً.

تابعت آنا تقول: «سأحضر لك شراباً ساخناً.»

ابتسمت ميريندا ابتسامة حالمة بينما امسكت آنا بمرفقها لترافقها إلى غرفتها وهي تقول: «تعالي، يجب ان ترتاحي، لقد ارهقت نفسك في اليومين الماضيين.»

فاجابت ميريندا بطريقة حالمة: «ارهقت نفسي.»

ابتسمت آنا وحثتها على الصعود إلى الطابق الأعلى، ثم جاءتها بالشراب الساخن وانتظرتها لتشربه، وتركتها بعد ذلك لتنام ولتستسلم لأحلامها السعيدة.

www.elromancia.com

الفصل السابع

لم يعد بول في اليوم التالي، انما اخباره وصلت عبر جهاز اللاسلكي.

وما اخبرته آنا لميريندا انه وجد هايتر واتصل بول بسانتا كروز ليرسلوا طائرة مروحية.

شعرت ميريندا بقشعريرة باردة وقالت بصوت اجش: «هل اصابه مكروه؟»

تابعت آنا عملها في الموقد وقالت: «من أين لي ان أعلم.»

فقالت ميريندا وبالحاح شديد: «أرجوك، يجب ان تخبريني، يجب أن أعرف.»

نظرت آنا اليها مشفقة وقالت: «ان بول بخير، ولكن هايتر اصيب بجرح في ظهره.»

«آه.» تأوهت ميريندا، ولكنها شعرت بالخجل واخفضت بنظرها إلى الأرض.

ثم قالت آنا: «سيعود بول في أقرب وقت ممكن برفقة السيدة مارتينز.»

رددت ميريندا قائلة: «السيدة مارتينز، لكن لماذا؟»

«لأنها كانت مع هايتر عندما اصيب بجرح في ظهره، كما انها صديقة قديمة لبول.»

«آه.» تأوهت ميريندا من جديد وقد تذكرت ما شاهدته بينها وبين بول من الشرفة في تلك الليلة. فما مدى تلك الصداقة التي تربطهما؟ وكادت ان تسأل ولكنها تراجعت، اذا

كان هناك من رابط بين السيدة مارتينز وبول، فعلى بول ان يعلمها بذلك، ويشرح لها ايضاً كل الكلام الذي سمعته.

شعرت بحنق شديد تجاه بول وقادتها قدماها إلى المكتبة وهي لا تعي ذلك، حملت احد الكتب وحاولت ان تغرق نفسها في القراءة كي تنسى، لكنها لم تنجح في تجربتها تلك. وشعرت ايضاً بأنها اهينت، جرحت في كرامتها، لكنها مع ذلك، كانت مازلت تهتم به. دفعت الكتاب جانباً وتمنت كي يكون بخير وسلام.

جاءت الهرة في تلك الأثناء ورأت ميريندا مستلقية على المقعد الطويل في المكتبة، فقفزت اليها بدلال واخذت تموء. شعرت ميريندا عند ذلك بشي من الراحة والعزاء، ولكنها ظلت مشوشة الأفكار.

تناهى إلى سمعها ضجة في الخارج تشير إلى وصول بول. فخرجت وتوجهت رأساً إلى الأسطبل، لتجد بول وبيبل في حالة شديدة من الارهاق والتعب، ثم تقدمت ميريندا نحو بيبل لتمد لها يد المساعدة.

تمتمت بيبل باعياء: «شكراً لك، وآسفة لأنني لم استطع ان اتمالك نفسي.» وسقطت بنفسها فوق كتفي ميريندا، فأسرع بول وساعدها على الوقوف.

قال لميريندا: «تعالي معي.» وحمل بيبل إلى غرفتها ووضعها بلطف فوق السرير، بينما اسرعت ميريندا لتفتح النافذة على مصراعيها.

ثم تابع بول وهو ينظر إلى بيبل التي خارت قواها: «لقد تحملت المسكينة فوق طاقتها، وكان يجب عليها عدم البقاء معي في تلك الأماكن الخطرة.»

تأملت ميريندا في علامات القلق على وجهه واحست بقلبها ينقبض من الغيرة. لكنها قاومت احساسها هذا لأن بيبل مارتينز تحتاج الى مساعدتها الآن وقد تذكرت ان اول شيء تعلمته في المدرسة هو ان تقدم المساعدة للآخرين اذا كانوا بحاجة ماسة لتلك المساعدة.

ثم قالت: «انها بحاجة إلى الراحة، كما انها ستكون افضل حالاً في ما لو استغرقت في نوم عميق. اعتقد ايضاً انها تعاني من نقص الماء، سآتيها بمياه لتشرب حالاً.»

أجفل بول وقد بدت على وجهه الدهشة وكأنه نسي سبب وجودها في الغرفة. مسح شعره بيده وقال: «نعم، انت محقة بالطبع، هل ستبقين معها؟»

أجابته بثبات: «نعم، بالتأكيد.»

قال ببساطة: «شكراً لك.» ثم نظر إلى المرأة النائمة بلطف وخرج من الغرفة.

نامت بيبل نوماً عميقاً طوال النهار، ولم تفارقها ميريندا لحظة واحدة، بينما كانت آنا تأتي اليهما من وقت لآخر ومعها الشراب المنعش، فتساعدها ميريندا على شربها عندما تستفيق من غفوتها.

وفي وقت متأخر بعد ظهر هذا اليوم، استفاقت بيبل كلياً وحولت نظرها الى ميريندا التي كانت تقف الى النافذة، ثم قالت بحيرة: «هايتر؟»

تقدمت ميريندا نحو السرير وامسكت بيد بيبل تجس نبضها لتجده ينبض بصورة طبيعية، وقالت: «كيف تشعرين الآن؟»

بدت بيبل محتارة قليلاً، ثم تذكرت، فقالت وهي تحاول

الجلوس في السرير: «انك ابنة هاري لاين. ماذا...؟ آه، نعم. لقد كان بول على حق، اليس كذلك، انني آسفة جداً.»

حدقت في وجه بيبل وقالت: «بماذا كان بول محقاً؟»

اجابت بيبل بنبرة كئيبة: «اعني في ما يختص بوالدك، فقد كان بول متأكداً من أنه لن يعثر عليه حياً. ولهذا السبب اراد ان يبقيك هنا حتى تنتهي عمليات البحث والتفتيش عنه. وكان يعتقد بأن معرفتك بوفاة والدك سيكون اسهل عليك ان تتلقيه هنا، من ان تتلقينه وأنت وحيدة بين الغرباء في سانتا كروز.»

فكرت ميريندا، اذاً لهذا السبب الحّ بول عليها لتبقى هنا، وليس بدافع المحبة. وبدت كمن سكب عليها ماءً بارداً.

فقالت بيبل مارتينز عندما لاحظت تبدّل ملامح ميريندا: «آه، يا عزيزتي، انا لم اقصد أن...»

قاطعتها ميريندا قائلة: «لقد كان السيد برانكو في غاية اللطف معي.»

تكلمت بيبل وقد شعرت بالندم: «انني كنت في غاية الغباء، اسمعي، كل الذي اردت ان اقوله، انني اعرف بول برانكو منذ وقت طويل ودائماً اصغي إلى تعليماته، كما يفعل معظم الناس. وقد اقنعني انه من الصواب ان ابقى هنا في الوقت الحاضر. ولكنك لست مجبرة على ذلك إذا كنت لا ترغبين في البقاء، وسأكون أنا المسؤولة عنك وسأتكفل بكافة الاجراءات لتأمين خروجك من هنا.»

شعرت ميريندا بالغضب الشديد وقالت: «ارى ان الجميع يقولون انهم مسؤولون عني، ولقد اصبحت في الثالثة والعشرين من عمري، كما انني لم اعد طفلة.»

بدا الانزعاج على بيبل وقالت: «بالطبع، فأنا لم أكن...»

قاطعتها ميريندا مشمئزة: «آه، نعم لقد كنت تعنين ذلك، كذلك فعل هو، اطلب منكما ان تتوقفا عن ذلك، فأنا استطيع ان اعتني بنفسي جيداً.»

نظرت بيبل اليها بدهشة وفضول بينما تابعت ميريندا تقول بعصبية: «اعتقد انك ترغبين في الاستحمام، وقد هيأت آنا لك المناشف والملابس الجديدة.»

كل ما قالته بيبل: «حسناً.»

قالت ميريندا عند ذلك: «هل آتي لمساعدتك؟»

اجابتها بيبل ببرود: «لا، شكراً لك.»

بدت بوادر اللامبالاة على ميريندا، ولكنها اعتقدت في داخلها انه ربما كان يجب ان تلح عليها اكثر في مساعدتها، وقالت: «سأراك اذاً بعد قليل في الطابق الأرضي.» ثم خرجت من الغرفة والتقت باحدى الخادمات.

قالت بخجل: «يرغب السيد في رؤيتك، لقد قلت له بأنك ما تزالين مع السيدة ايزابيل.»

«حسناً، سأذهب اليه، اين هو الآن؟»

«انه في المكتب، يا سيدتي.»

بدت العصبية على وجه مريندا، انها لم تتعرف بعد على معظم غرف هذا البيت. فسألتها: «وأين يكون ذلك المكتب؟»

ابتسمت الخادمة وقالت: «انه خارج هذا البيت، في قسم المختبر، سأدلك على الطريق للوصول اليه.»

لحقت بها ميريندا وقد ادهشتها كثرة النباتات في الأوعية الزجاجية في المختبر، ثم قادتها الفتاة في النهاية إلى باب مفتوح لغرفة مختبر ذكرتها بغرفة مختبر المدرسة

وتجهيزاته. وقد كان بول يجلس على مقعد طويل ينظر في ورقة من اوراق الشجر تحت المجهر، والى جانبه آلة كومبيوتر صغيرة الحجم.

وعندما لم يشعر بها، قالت له: «أردت رؤيتي؟»

رفع نظره عن المجهر، فلاحظت ميريندا انه يبدو مرتاحاً الآن وقد استحم وحلق ذقنه. فأجابها: «نعم.»

أشار لها ان تجلس على مقعد قريب، ثم اوقف تشغيل الكومبيوتر. فسألته بفضول: «ما الذي تقوم به؟»

«أحاول متابعة بعض الأعمال المتراكمة علي.» ثم تناول ورقة الشجر، ووضعها في وعاء زجاجي واقفل عليها في براد كبير في آخر الغرفة.

«أعمال؟»

أجابها بول: «هل كنت تعتقدين انني امضي حياتي ألهو في الغابة الموحشة بحثاً عن المنكوبين؟»

بدت عيناه ترقصان طرباً، فتوردت وجنتا ميريندا وقالت وهي تنظر حولها: «بالطبع لا. لكن ما الذي تقوم به هنا؟»

«اقوم بأبحاث حول النباتات.»

«ماذا؟»

«لماذا اندهشت هكذا؟ فأنا، عالم نبات. ولهذا السبب ترك لي جدي الفازندا، او لنقل انها احدى الأسباب.»

بقيت ميريندا مندهشة، فهي لم تكن تتصور ان ذلك المتكبر الذي قطعت معه الغابة الموحشة، يمكن ان يكون عالم نبات. فقالت بشك: «وأنت تدير هذه المسائل؟»

«نعم، ولكنني عندما اغيب كثيراً، يحل روبم مكاني.»

فسألته ميريندا: «إلى أين تذهب؟»

www.elromancia.com

«إلى المطاعم لأرفه عن نفسي.»

لاحظت ميريندا انه يحاول ان يثير عصبيتها، لكن بول قال بلين بعد ذلك وصحح ما قاله في السابق: «انني اذهب لألقي محاضرات عن الطبيعة في منظمة الأمم المتحدة وفي جامعات اوروبا واميركا.»

فأجابته ميريندا بطريقة ساخرة: «اذاً، تقوم بعمليات الاغاثة في اوقات فراغك.»

قال ببرود: «انني لم أر شيئاً مثل الذي رأيته في الأيام الأخيرة. وقد يكون من حسن حظنا اذا بقيت حالة الطقس على ما هي الآن.»

فسألته ميريندا: «هل تعني ان العاصفة قد تهب مجدداً؟»

بدا وجه بول الوسيم اكثر جدية وقال: «لقد قلت بنفسك البارحة انك تشعرين بنذير شؤم، وحتى اكون صريحاً معك، كنت اتوقع ليلة البارحة ان تهب العاصفة من جديد. والذي كان يزعجني، وجودك وحيدة مع الخدم، لكن هايتر كان في حالة الخطر الكبير وقد انكسر ضلعان من ضلوعه ولم استطع ان اتركه دون مساعدة.»

فبادرته ميريندا قائلة: «هل تعني ان العاصفة ستهب فعلاً من جديد؟»

أجابها بجفاف: «بل اتوقع ان تكون اسوأ من التي سبقتها.»

«وما قد يكون الأسوأ؟»

نظر اليها مطولاً ثم قال بضيق: «الاعصار.»

«الاعصار؟ لكن من المؤكد...؟»

«لا بد انك ادركت بأننا كنا على حافة احداث مأساوية.

لكن مبدئياً، توجهت العاصفة الآن نحو الجنوب وقد تعود الينا، ولكنني لا اعتقد اننا سنكون اوفر حظاً في هذه المرة.»

تذكرت ميريندا عدد اللاجئين الذين وجدتهم في الفازندا يوم وصولها اليها وقالت: «لن نكون اوفر حظاً؟»

فقال بهدوء: «مازال هناك ورق على الشجر، كما ان الأشجار ما زالت جذورها ثابتة في الأرض والاعصار عادة يقلع الأخضر واليابس.»

ارتجفت ميريندا خوفاً وقالت: «هل هناك أمل بعدم حدوث ذلك؟»

«الأمل ضعيف، وذلك حسبما تصدر مصلحة الأرصاد الجوية في مانوس.»

جاءت نبرة صوته مريبة، فسألته ميريندا: «ألا تصدقهم؟»

«لا أعرف شيئاً، فأنا لست خبيراً في الأحوال الجوية. لكنهم يقولون ايضاً بأن لا خوف من فيضان النهر، واعتقد انهم مخطئون في ذلك لانه ارتفع متراً واحداً منذ هذا الصباح، واذا ارتفع بضعة امتار اخرى، فمن المؤكد ان روزاريو ستعوم بالماء.»

«هل الأمر خطير فعلاً؟»

«لقد تم اخلاء القرية من السكان، حتى لا يصاب احد بأذى، وقد تنقطع الفازندا عن العالم. يجب ان ترحل بيبل من هذا المكان وبأسرع ما يمكن... وأنت كذلك طبعاً.»

انزعجت ميريندا وقد شعرت ان ابتعادها عن هذا المكان بات قريباً، وقالت: «سأقوم بالذي تعتقده مناسباً اكثر.»

«اعتقد أن الأشخاص لا يفكرون بجلية في الأزمات.»

فقالت ميريندا بخشونة: «اذا كنت تحاول ان تقول من جديد بأنك مسؤول عني...»

قاطعها قائلاً: «احاول ان اقول بأنه لا يحق لي ان اكون مسؤولاً عنك، فأنا لست بذلك الفارس الذي تحلم به كل فتاة، كما وانت فتاة في غاية البراءة.»

نظرت ميريندا اليه بحدة وقالت: «اهذه غلطتي أنا؟»

ضحك بول قليلاً ثم قال: «المسألة ليست غلطة من، انما اعتقد انه ليس من الصواب ان نبقى معاً لفترة طويلة.»

سألته بحدة: «لماذا؟»

اغمض عينيه وقال: «انك لست من البراءة كما اعتقدت.»

تقدمت منه وقالت: «هل تعني انك تشعر بميل نحوي؟»

فتح عينيه وقال: «يمكنك ان تفكري بذلك.»

تحدته ميريندا قائلة: «لكنك تميل إلى العديد من النساء، اليس كذلك؟ فهذا ليس بالشيء الغريب عنك، وعني ايضاً، لأنني كنت اتوقع ان يحدث ذلك في وقت من الأوقات.»

وتفاجأت ميريندا عندما قال: «يجب ألا نخاطر بهذا الشيء، كما عليك ان ترحلي سريعاً.»

نظرت اليه ملياً وقالت: «لا افهم.»

فقال بشيء من العنف: «لا تفهمين؟ لقد كانت بيبل على حق، واتمنى أن يتسع صدري أمام الصغيرات البريئات المعذبات.»

صرخت في وجهه: «انني لست بالصغيرة البريئة.»

«آه، لا بل أنت كذلك فعلاً.» قال بول ذلك دون ان يصرخ في وجهها بالمثل، لكن كلماته كانت كضرب السوط. وتابع يقول: «وليتسع صدري عندما ترحلين عن هذه الديار.»

فصرخت بارتجاف: «اكرهك!»

قال بول ببرود: «جيد، ابقي على هذه الحالة، فهذا افضل ضمان لنا. والآن، اخرجي من هذه الغرفة لاتابع عملي.»

لازمت ميريندا الصمت وهي تشاهده يعيد تشغيل آلة الكومبيوتر، فاستدارت وخرجت من الغرفة مسرعة.

وعندما دخلت البيت، وجدت بيبل جالسة في غرفة الجلوس تطالع في مجلة أزياء نسائية وقد بدت بزيها كواحدة من عارضات الأزياء الفاتنات، وذلك بالمقارنة مع ما كانت ترتديه ميريندا.

رفعت بيبل رأسها عن المجلة وابتسمت ابتسامة واهية وقالت: «مرحبا.»

ردت ميريندا على تحيتها قائلة: «مرحباً، كيف تشعرين الآن؟»

«اشعر وكأنني ولدت من جديد، حين كنت اعتقد بأنني سأفارق الحياة، كما وانها ستكون المرة الأولى والأخيرة لي في الذهاب إلى تلك الغابة الموحشة، ويدهشني كيف استطعت ان تتحملينها تلك الليلة بأكملها!»

أجابتها ميريندا: «انها ذكرى مؤلمة بالفعل.» ثم عادت بذاكرتها الى ما حدث لها مع بول فارتجف قلبها، ولكنها تابعت قائلة: «لن اكرر هذا الشيء ابداً.»

ولكنها كانت تعلم في قرارة نفسها ان الذي قالته عكس ما ينطق به قلبها. واخذت تصغي إلى بيبل وهي تحدثها عن الأزياء العالمية وهي شاردة الفكر في عالم آخر. انها تريد ان تقوم بأي شيء، تريد ان تخوض مخاطر أخرى فقط لتبقى قريبة من بول برانكو، مع انه رفض وجودها ويريدها ان تبتعد عن هذا المكان.

وشعرت بأنها تميل اليه وتهيم به، لقد اظهر لها الرعاية التامة والاهتمام الكامل، لكن هذا الشعور كان يبادله شعور آخر، شعور باليأس وبالأمل الضائع لاحلامها وامانيها.

وفي أعماق افكارها المتلاحقة، تنبهت إلى بيبل تسألها: «هل انت بخير؟»

تطلعت إلى بيبل وقد بدا على وجهها الشرود، ثم قالت: «ماذا؟ آه، نعم انني بخير، ولكنني كنت افكر بأمر ما.»

«لا يبدو هذا الأمر مسراً، وقد سبب هذا الانفعال على وجهك.»

ابتسمت ميريندا في سرها وقالت بينها وبين نفسها ومن اين يأتيني السرور وقد قرر بول ان يبعدني عنه.

وعندما لم تلق جواب من ميريندا، تابعت بيبل بلطف: «اذا كنت ترغبين بالتحدث كي تروحي عن نفسك...»

اغرورقت عينا ميريندا بالدموع فجأة، وتساءلت ما الذي يمكنها ان تقوله لبيبل؟ هل تملك الجرأة لتقول لها بأنها تعلقت بصديقها بول؟

تنهدت بيبل وغيرت الموضوع، مما سبب راحة نفسية لميريندا. وبدت بيبل مشغولة البال، وبقيت على تلك الحالة حتى عندما انضم اليهما بول وجلسوا جميعاً إلى مائدة طعام العشاء.

لم يخيم جو السعادة والمرح بينهم وهم حول المائدة، فقد كان بول وكأنه في عالم بعيد، وميريندا تعاني من اضطراب نفسي للتغيير الذي طرأ عليهما. لكنها لم تفقد احساسها بما كان يدور حولها، وكانت تنتقل بنظراتها ما بين بول وبيبل وهما يجاملان بعضهما من وقت إلى آخر وكأنها ليست موجودة بينهما.

بعدما انتهى بول من تناول طعامه، وقف قائلاً: «سآخذ القهوة في غرفة المكتبة وأنا اسجل بعض الملاحظات.»

اجابت بيبل تعبة: «طبعاً، وهل سأراك بعد ذلك؟»

تنبهت أفكار ميريندا وتغير لون وجهها، لكنها شعرت بأن بول ينظر اليها وكأنه احس بما تعاني منه.

أجاب ببرودة: «طبعاً سأراك.»

خيم صمت شديد الوطأة عليهما بعد خروج بول من الغرفة، كانت بيبل خلاله تلهو بالملعقة الفضية وهي عابسة الوجه كأنها تحاول ان تحل مشكلة معقدة.

رفعت بيبل رأسها اخيراً وقالت بكآبة: «لم اكن بالرفيقة الممتعة، اليس كذلك؟ آسفة، السبب في ذلك يعود إلى ما عانيته من خوف واضطراب في تلك الغابة الموحشة.»

شعرت ميريندا بالعطف عليها بالرغم مما كانت تعاني منه وقالت: «ربما من الأفضل لك ان تأوي إلى الفراش، فالراحة التامة مفيدة لك.»

طأطأت بيبل برأسها وقالت: «انك على حق، سأتركك اذاً، عمت مساءً.»

قالت ميريندا: «عمت مساء.» وبقيت وحيدة في تلك الغرفة وافكارها متجهة إلى بول وبيبل وعن مدى الصداقة بينهما. وتساءلت كيف يمكنها ان تفوز به؟ ربما لوتي كانت على حق عندما قالت انه بحاجة إلى فتاة تمنحه كل شيء دون مقابل، لكن هل تجرؤ على ذلك؟

قررت ان تذهب إليه في غرفة المكتبة والتي تقع في جناح آخر من البيت وقد خيم عليه ظلام شديد، ولكنها

استطاعت ان ترى النور يسترسل من اسفل الباب، ففتحته ودخلت غرفة المكتبة.

وجدت الغرفة بسيطة بأثاثها بالنسبة للأثاث في باقي الغرف. وقد علقت الخرائط على الجدران وفرشت بسجاد بسيط. ورأت الكتب في كل مكان فوق الرفوف وعلى الطاولات وحتى على الأرض، فتقدمت نحوه بجرأة.

ولكن بول لم يلحظ دخولها واقترابها منه، فقد كان يجلس إلى طاولة يتأمل العصير في الكوب الذي بين يديه.

نظرت ميريندا اليه بشك، وشعرت بالتردد وهي تتقدم اكثر لتقف إلى جانبه.

رفع رأسه عند ذلك بعصبية كأنما تفاجأ بعدو ما، وقال بنبرة لا تنم على الترحيب بها: «ماذا تفعلين هنا؟»

تنهدت ميريندا بعمق قبل ان تقول: «ظننت انك قد...» لكنها توقفت عن الكلام عندما التقت نظراتهما، فنسيت ما ارادت قوله.

ضاقت عيناه وقال: «قد ماذا يا ميريندا؟»

أجابته بضعف: «قد تكون بحاجة إلى رفيق ما.»

كانت عيناه تتركزان عليها بثبات، فخيل اليها انه لا يراها البتة، ولكنها قالت: «لقد رأيت انه من المعيب ان يشرب كل منا القهوة وحيداً.»

«لذا قررت المجيء إلي.»

فقالت ميريندا بتردد: «نعم.»

«انها لفتة طيبة منك.»

عضت ميريندا على شفتها، انها لم تتصور ان الأمر سيكون بهذه الصعوبة، وسألته: «هل اطلب القهوة اذاً؟»

ابتسم وقال: «آه، ولكنني اعتقد ان ذلك سيكون شيء تافه.»

«ماذا؟»

ذكرها بلطف: «هل نسيت انك لا تحبين قهوتي؟ هيا يا ابنة الاستاذ، فاذا كنت ترغبين في ان تغيري شيئاً في نفسي، عليك ان تتصرفي بطريقة غير هذه الطريقة.»

ذهلت ميريندا من كلامه وقالت: «اغير ما في نفسك؟»

قال دون مبالاة: «اليس هذا هو السبب الذي دفعك إلى المجيء الي؟ لقد خامرني شعور بعد ظهر هذا اليوم انك لم تعودي ترغبين ان تبقي معي اكثر.»

شعرت ميرنيدا عند ذلك بأن اوصالها تتقطع من كلامه واخفضت نظراتها إلى الأرض.

رقّ قلبه وتابع يقول: «كما انني لا اعرف اذا كان هذا التغيير قد نجم عنك شخصياً، ام انه نجم عن شيء غرسته تلك الطبيبة الألمانية في رأسك.»

قالت ميريندا عند ذلك: «آه، اذاً هذا كل ما في الأمر.»

وقف بتكاسل وقال: «انا أعلم ماذا تريد لوتي ماير بالتحديد، انها تريد ان تفتتح مدرسة جديدة في هذه الجهة، مع انني سبق وقلت لها بأنه لن يتم ذلك، وهذا ما يعيدنا اليك يا ميريندا، ما الذي تقصدينه من وراء مجيئك إلي في هذه الساعة المتأخرة من الليل غير تناول القهوة معي؟»

نظرت عميقاً في عينيه وقررت ان تقول الحقيقة، فأجابته بحدة: «لا اريدك ان تذهب إلى بيبل مارتينز هذه الليلة.»

الفصل الثامن

لفهما صمت مطبق إلى ان قال بول اخيراً: «ولكن لماذا لا تريدينني ان اذهب إليها؟»

اشاحت ميريندا بنظرها عنه وقد توّرد خداها ثم قالت: «لا اريدك ان تذهب إليها لأنك في الحقيقة لا يهمك امرها، كما وانها لا تحبك.»

«هذا صحيح.»

تحيرت من كلامه الأخير وحوّلت نظرها إلى وجهه لترى إن كان غاضباً ام لا، لكنها وجدت ملامحه هادئة وخالية من اي تعبير. ثم اخذ يضحك بصوت عالٍ عندما لاحظ عليها الخوف والاضطراب.

«طبعاً ما اقوله صحيحاً، فلو كان هناك حباً يجمع بيننا لكنت وجدتنا مخطوبين على الأقل.»

تلعثمت بكلامها قائلة: «ولكن... اعتقدت... لا... ألا تحب السيدة مارتينز؟»

ذكّرها بول وقال: «لقد قلت لي منذ لحظة بأنني لا اهتم بها.»

قالت بجدية: «حقاً، لقد كنت اعني ذلك. فلو راجعت نفسك، لوجدت ان قلبك يفتقر لذرة من العاطفة والشعور.»

اجابها بسخرية وقال: «وماذا تعرفين عن العاطفة والشعور يا ابنة الاستاذ؟»

آلمها كلامه، ولكنها لم تضعف امامه، فرفعت رأسها

بتعالٍ وقالت بهدوء: «اعرف حق المعرفة ان الحب الحقيقي اقوى من اي شيء.»

اكفهّر وجهه وقال: «الحب... وماذا تقصدين بهذه الكلمة التي تسيئين استعمالها؟»

غضبت فجأة وقالت: «اقصد انه ولا بشكل من الاشكال قد تجمع هذه الكلمة بينك وبين السيدة مارتينز.»

ضحك بول وتهيأ لها الغضب في كلامه وهو يقول: «حسناً، أرى انك تعلمت شيئاً في هذا البيت، ان الذي يجمع بيني وبين بيبل هو التفاهم لا اكثر، كما وان هذا الأمر يناسبنا تماماً.»

أجفلت ميريندا وظهر ذلك على ملامحها جيداً، ولم تستطع ان تضبط نفسها.

فقال لها: «لماذا يبدو عليك هذا الانفعال؟ فليس من حقك ان توافقي على هذا الأمر، وتذكري انك ضيفتي فقط ولست ضميري الذي يحاسبني على كل خطوة اخطوها.»

«لم اقصد...»

«لا، كنت تقصدين. واردت أن ترفعي من مقامك لتصدري احكاماً كأي شخص ناضج آخر.»

خافت ميريندا وقالت: «لا، لم اكن اريد ذلك.»

«صحيح؟ ولكن، لماذا لا تريدينني ان اذهب إلى بيبل هذه الليلة؟»

كان سؤال يصعب الاجابة عليه بالنسبة لميريندا. ضعفت ولم تستطع أن تقول له انها باتت تحبه، فقد يسخر منها ويطلق احدى ضحكاته العالية في وجهها. اخفضت نظرها إلى الأرض واحمّرت وجنتاها.

تابع بول يقول بخبث: «اليس لديك ماتقولينه؟»

أجابته بيأس: «انك لا تفهم.»

«لا افهم؟ حسنا، انك ابنة الاستاذ فعلميني، ماذا تعني كلمة حب في قاموسك؟»

تأثرت من سخريته، ولكنها استجمعت قواها وقالت مع انها كانت تعلم بأنها تدور في حلقة مفرغة معه: «الحب يعني عندما تطلب الخير للشخص اكثر مما تطلبه لنفسك، كذلك عندما تتنازل عن كبريائك وغطرستك اكراماً للحبيب.»

تحوّل بول عنها بحركة عصبية وقال: «هذا يعني ان يستشهد المرء من اجل الحب، ويعيش في الأوهام، بغض النظر عن الأولويات. لكن وكما تلاحظين، هناك صفقة في ذلك، ربما لا تريدين الافصاح عنها ولكنها موجودة على كل الأحوال. انت تضحين بكبريائك وكرامتك لذلك الحبيب الخيالي، ومن ثم تنتظرين منه ان يبادلك تلك التضحية بالمثل، اليس كذلك؟»

هزّت ميريندا برأسها يائسة وقالت: «قلت لك انك لا تفهم.»

قال بقسوة: «آه، انني افهم جيداً. انك تعيشين في الأوهام. ماذا ادخلت لوتي في رأسك يا ميريندا؟ هل قالت لك ان خلاص الرجل الشرير سيكون على يدي امرأة طيبة؟»

صعقت ميريندا، لقد اعطتها لوتي مثلاً في ذلك فعلاً، ولكنها لم تتأثر به، ووضعت يديها على خديها المتوردين وهي تشعر بالاحباط.

ضحك بول بلطف، ولم تكن ضحكته لتبهج نفسها، ثم قال: «لقد اتفقت انت ولوتي على ان تجبريني بالتخلي عن بيبل

كي تتمكن هي بالمقابل ان تقوم بالتعليم في المركز الطبي، اليس كذلك؟»

قالت ميريندا بخوف: «لا.»

تابع بول بوحشية: «واجهي الأمر يا ميريندا، اليست هذه لعبتك الحقيرة؟»

اجابته: «انني لا العب عندما يوجد الحب.»

قال بلا مبالاة: «كلنا نلهو باسم الحب ولا يمكننا ان نتجنب مثل هذا الامر الطبيعي.»

«لا اصدق ذلك.»

نظر إليها بموضوعية وقال: «انك فعلاً ساذجة، على اية حال، يجب ان لا انسى بأنك كنت جاهلة عمّا يدور في هذا العالم، لقد عشت في ضلال.»

هزّت ميريندا برأسها وبعصبية وقالت: «لا لم أعش في ضلال.»

«لكنني اؤكد لك ذلك.»

ضحكت بألم وقالت: «الحب يعني لي اكثر من صفقة كما تسميه واكثر من لعبة الهو بها، وارى انه لدينا وجهات نظر مختلفة.»

فقال بول: «انت لا تدرين ما تقولين.»

سخرت هي منه هذه المرة عندما قالت: «آه، اؤكد لك بأنني ادري تماماً ما اقوله.»

اقترب منها وتأمل وجهها ثم قال: «انك لست سوى طفلة.»

«انني لست كذلك. صدقني، انا اعرف ان الحب ليس صفقة.»

قال بلطف خطير: «اذاً، اخبريني كل الذي تعرفينه عن الحب يا صغيرتي.»

لم تكترث لكلامه وتابعت تقول بجرأة: «الحب يعني العطاء وليس عقد صفقات... آه، لو كان بإمكاني فقط ان اظهر لك كم انت على خطأ.»

ضاقت عيناه عندما شعر بنبرتها الصادقة، وقال: «ربما يمكنك ان تفعلي ذلك.»

وكان ما قاله آخر ما توقعت ان تسمعه منه وشعرت بأعصابها وقد توترت، وادركت انها لن تصل معه إلى نتيجة تذكر.

تابع يقول بنبرة باردة: «ان تجاربي مع النساء اظهرت لي ان المرأة لا تفعل شيئاً دون دافع.»

لازمت ميريندا الصمت وهي ترتجف للمأزق الذي ادخلت نفسها فيه. وتابع يقول بطريقة لاهية: «اما بالنسبة لك، فلا اعتقد ان الأمر معك او الحب كما تريدين تسميته، يكون ممتعاً. لكن هل انت فعلاً مستعدة لأن تعطي الشخص الآخر كل شيء؟»

طأطأت ميريندا برأسها ايجاباً، بينما كانت نبضات قلبها تتسارع وقد ادركت اللعبة الخطرة التي تلعبها، أغمضت عينيها وقالت بينها وبين نفسها، لا بد انني مجنونة.

تابع يقول محذراً وبنبرة ساخرة: «لكن لا وعود، ولا ضمانات لما يأتيه الغد، لا شيء عدا عن الحب الصافي.»

شعرت ميريندا بالتردد، ففتحت عينيها بحذر لتجده ينظر إليها بطريقة غريبة، فيها شيء من الانتصار، وعندما لمس ترددها ودهشتها قال: «أرأيت؟ ها ان الأمر لم يعد يعجبك، وكما قلت عندما تعطي تنتظرين شيئاً تنالينه بالمقابل، فالحب ليس سوى صفقة.»

تكلمت ميريندا أخيراً: «سأبرهن لك عكس ذلك.»

لكنه قال بنفاد صبر: «عودي إلى لوتي يا صغيرتي، فستكونين أكثر اماناً معها.»

قالت ميريندا: «نحن لا نتكلم عن الامان، بل عن الحب.»

صحح بول قولها: «انت التي كنت تتكلمين عن الحب، بينما انا كنت اتكلم عن الحياة الحقيقية.»

«انهما متشابهان.»

اطل الغضب من عينيه وهو يقول: «الحياة الحقيقية تعني ان يشبع المرء رغباته ولا يحيا على ارضاء الآخرين... اكبري يا ميريندا، فالحب الذي تتكلمين عنه غير موجود سوى في الروايات، بينما في الحياة الحقيقية الناس يعطون ما يقدرون، لينالوا شيئاً في المقابل.»

همست قائلة: «امنحني فرصة لأوكد لك ذلك.»

عاد يقول لها: «انك تعيشين مع الأوهام.»

توترت من برودته اكثر من عصبيته او من سخريته. انه يتمتع بذكاء خارق، انه داهية ولن تستطيع اقناعه ولا بطريقة من الطرق. كما انه يريد ان ينبذها ويطردها من حياته، واحتارت في مشاعرها، ماذا يريد منها بالضبط؟ وادركت انها لو تركته يبتعد عنها الآن، سيصبحان غريبين، بل عدوين حتى آخر العمر وهذا ما لن تستطيع ان تتحمله.

ثم عاد إلى مكتبه وقال: «اقترح عليك ان تكتبي رسالة إلى لوتي تقولين فيها ان الخطة لم تنجح، وستتكفل بيبل إيصال هذه الرسالة لها.»

انزعجت ميريندا من سخريته الباردة ومن ذكر اسم بيبل، لكنها تحاملت على نفسها وقالت: «انت مخطىء، فلا دخل

للوتي في هذا الموضوع.» وهمّت بالخروج من الغرفة وهي تتابع كلامها: «انني ذاهبة إلى النوم.»

فقال بلا مبالاة: «هذا افضل لك يا صغيرتي.»

كادت ان تصرخ معترضة، لكنها تمالكت اعصابها وقالت بتردد وهي تنظر في وجهه ملياً: «ما الذي جعلك عديم الثقة بهذا الشكل؟»

رفع حاجبيه قائلاً: «النضج.»

قالت ميريندا بتحد: «لا تنسَ انني فيّ الثالثة والعشرين من عمري.»

«لكن لا يمكن لاحد ان يصدق ذلك. آه، اذهبي إلى فراشك يا صغيرتي واستسلمي لاحلامك الجميلة.»

فعلت كما اشار عليها دون ان تشعر بالاهانة، لأنها لمست في عينيه الاحترام والتقدير لها. وفكرت عندما اصبحت في غرفتها، انها ستتصل بخالها نيل بالرغم من مشاكلها مع كايت وكلير، وستطلب من بيبل مارتينز ان تدبر موعداً لرحيلها من الفازندا برانكو. اما في الوقت الحاضر، فأنها ستتجنب لقاء بول قدر الامكان.

مع ذلك، وعندما جلست مع بيبل مارتينز إلى مائدة الفطور في صباح اليوم التالي قالت لها هذه الأخيرة: «هل ستعودين معي إلى سانتا كروز بالطائرة المروحية؟»

لكن ميريندا نفت بحركة من رأسها وقالت: «ليس اليوم، فأنا لست مستعدة بعد.»

ظهر القلق على وجه بيبل، فتساءلت ميريندا في نفسها، هل يا ترى اطلعها بول على الذي تحدثا به ليلة البارحة.

«اعرف ان الأمر صعباً عليك يا عزيزتي. انما يجب ان

تواجهي الحضارة مرة اخرى في يوم من الأيام. هل هناك من سبب لتأجيلك هذا؟»

اجابت ميريندا: «اريد فقط بعض الوقت لأنفذ ذلك.»

تنهدت بيبل وقالت: «قد تكونين على حق، انما...»

رفعت ميريندا رأسها وقالت: «انما؟»

فسألتها بيبل بلطف: «وهل من الحكمة ان تبقي هنا مع بول؟»

اجابتها ميريندا: «هذا ما قالته لوتي ايضاً.»

بدا الانزعاج على وجه بيبل ولكنها قالت بلين: «آه، تلك المرأة! انني لم أعنِ بكلامي ما اثير من كلام ولغط حول هذا الموضوع. انما اعني انك عشت حياة هادئة ورصينة، وقد يسبب بول لك الأذى، لأنك مختلفة عن بقية النساء.»

قالت ميريندا في نفسها، لست ابداً مختلفة، ثم تنهدت بيبل مرة اخرى وتابعت تقول: «لقد قلت لبول...» ثم تراجعت عما ارادت ان تقوله وتابعت وقد غيرت الموضوع: «يجب ان اذهب لاتحقق من روبم اذا كان قد اتصل بالمراجع المختصة لتأمين خروجي من هنا... فهل تغيرين رأيك وترحلين معي؟»

نفت ميريندا بحركة من رأسها مرة اخرى.

فقالت بيبل وهي غير مقتنعة: «حسناً، اعتقد انك ادرى بأمورك اكثر مني.»

وبعد عدة ساعات، حطّت الطائرة لتعيد بيبل، بينما لم يقع نظر ميريندا على بول طوال تلك الفترة، ولكنه خرج فجأة من غرفة مكتبه وهو يمسك بيد بيبل ومشى معها إلى الطائرة، ثم تكلم مع القائد على انفراد.

اسرع بعد ذلك بالدخول إلى البيت ومرّ بجانب ميريندا دون ان يشعر بوجودها، فنظرت ميريندا إليه وهي تشعر بالاهانة من ذلك، ولكنها تغلّبت على هذا الشعور. فهي لا تريده ان يشعر بأنه يقدر ان يسبب لها الألم، فقد يمنحه ذلك عذراً ليرسلها إلى سانتا كروز، او ربما قد يعطيه ذلك برهاناً بأنها امرأة غير ناضجة.

لذا تعمدت اللامبالاة، واسرعت تلحق به لتجده قد توجه رأساً إلى المطبخ ليتكلم مع الخدم، ومما قاله: «لقد ارتفعت مياه النهر إلى علو ستة امتار، وبدا السد مزعزعاً ليلة البارحة، وقد قال لي قائد الطائرة بأنهم يستعدون لأية حالة طارئة، وهذا يعني ان النهر قد يفيض وتقع كارثة كبيرة. ان الأمر في غاية الخطورة. كما اننا قد نحتجز هنا إلى أجل غير محدد، ومن المؤكد ان خزان المياه سيتلوث. والذي نملكه من المحروقات لن يكفي اكثر من عشرة ايام، فالذي يرغب بالعودة إلى بيته، عليه ان يغادر الآن.»

اخذ الخدم يتمتمون بأصوات خافتة، بينما تابع بول يقول: «لقد اوضح لي القائد انه لن يعود مرة اخرى، لأن الأمر يزداد سوءاً. لكن اذا كنتم ترغبون في الانضمام إلى عائلاتكم، يجب ان ترحلوا في هذه الساعة.»

تبادل الخدم النظرات وبعد تردّد، اتضح بأنهم يرغبون جميعهم بالرحيل، حتى آنا التي لم تتصورها ميريندا انها تقدر ان تعيش خارج الفازندا.

قال بول: «سأحضر سيارة الجيب لتنتقلون به إلى شاطىء امين من النهر وتقطعوه بعد ذلك.»

تدخل روبم قائلاً: «بول...»

فقال بول: «لكنك تعيش هنا... آه، يجب ان تكون مع ألينا بالطبع.»

تكلم روبم وعلامات القلق بادية على وجهه: «لكن النباتات...»

قاطعه بول بانزعاج: «الناس اهم بكثير من النباتات. وسأتمكن من الاعتناء بها لبضعة ايام. اذهب يا روبم ويمكنك ان تستعمل الشاحنة في ذهابك إلى القرية. هيا، امامك خمس دقائق لتجمع حوائجك، يجب ان تتحرك قبل ان يفيض النهر.»

اخذ الجميع يتحركون بسرعة مثل دوامة، فابتعدت ميريندا عن الباب لتفسح لهم المجال في الخروج.

ناول بول مفتاح الشاحنة لروبم وقال: «يجب ان تقودها بسرعة فائقة.»

اخذ الرجل المفتاح واسرع بالخروج. وبعدما رحل الجميع، بان الارتياح على وجه بول وهو ينظر إليها مبتسماً وقال: «اننا بمفردنا اخيراً.»

فقالت بهمس: «نعم.»

قال دون ان يتقدم نحوها: «هل انت خائفة؟»

«من فيضان النهر؟ لا ابداً.» ثم سألته بفضول: «وانت؟»

اجابها: «لقد واجهت عواصف اشد من هذه، ولو كان لي الخيار في ذلك، لكنت تجنبت هذا الأمر.»

ثم اتجه إلى المغسلة وسدّ قعرها ليملأها ماءً وهو يقول: «املأي اي وعاء تجدينه بالماء، من المغاطس إلى الأوعية والسطول والقرب.»

امتثلت لاوامره واخذا يعملان بجد حتى المغيب، فأضاء

بول النور وقال: «يجب ان ننتبه إلى اضاءة الكهرباء، فقد بدأ يخف وقود المولد.»

فسألته ميريندا: «هل لديك مصابيح زيتية.»

رفع حاجبيه بدهشة وقال: «فكرة عظيمة، نعم هناك مصابيح في مكان ما، انما لا اعرف كيف استعملها.»

قالت ميريندا: «انا اعرف.» وذلك لأنه لم يكن هناك مولد في مبنى المدرسة، بل كانت تعيش مع والدها على ضوء المصابيح الزيتية.

«اذاً، تعالي معي.»

وبعد بحث دقيق وجدا المصابيح، فقالت ميريندا: «ان الفتيل بحاجة إلى قص، ولكنها في حالة جيدة.»

جاء بول بكرسي وجلس إلى جانبها وهو يراقبها ملتهياً ثم علّق قائلاً: «انك فعلاً تدهشينني...»

رفعت ميريندا نظرها عن العمل الذي تقوم به وقالت: «لأنني اعرف كيف اشعل مصباحاً.»

«لأنك تبدين احياناً لينة طرية العود، واحياناً اخرى منافسة لا تقهر.»

ضحكت ميريندا وهي تمسح الغبار عن المصباح ثم قالت: «انني لست لينة طرية العود كما ذكرت، انك تتوهم ذلك.»

فقال ببطء: «لست وحدي من يتوهم له ذلك... وقد توافقني بيبل بذلك لأنها قالت لي اليوم كم انت صغيرة.»

استاءت ميريندا وقالت: «لا يمكن لفتاة في الثالثة والعشرين من عمرها ان تكون في المدرسة.»

فقال بول: «ربما لا، انما عليك ان تعترفي بأنك عشت حياة مختلفة كلياً في تلك السنوات الخمس الماضية.»

نظرت إليه بتحدٍ وقالت: «وماذا عنك؟»

اخذت تضحك عالياً عندما رأته ينظر إليها بذهول، ثم قال: «نعم، ولكنه اختلاف من نوع آخر.»

تابعت ميريندا عملها على مصباح آخر، وعندما نظرت إليه، لاحظت انه عليه ان يحلق ذقنه وقد بدا وكأنه قرصان، فقال فجأة: «اذاً، تعتقدين بأننا متشابهان؟»

اجابته ميريندا بشيء من السخرية: «انما ليس بكل شيء.»

ضحك ثم توقف، فخيل إليها انه سيقول شيئاً، ولكنه سمع في تلك الاثناء دويّ شديد من تكسر احد الأغصان، فتذكرت تلك الساعات الرهيبة التي امضتها في المدرسة عندما كانت تحاول ان تقنع نفسها بالرحيل، فارتجفت وشحب وجهها.

لاحظ بول عليها ذلك فسألها: «هل انت خائفة؟»

أجابت بتردد: «لا.»

«أنا لا أطلب منك ان تتحلي بالشجاعة، فلا يمكنك ان تتغلبي على الشعور بالخوف، انما لا تخشي شيئاً، إنها مجرد تكسير اغصان في الوقت الحاضر.»

ارتعشت ميريندا لقوله في الوقت الحاضر، وتساءلت ما قد سيحدث في القريب العاجل؟

ثم قال بول كمن اتخذ قراراً: «لنرى إذا كانت هذه المصابيح تعمل، لننقلها إلى غرفة الجلوس ونتناول الشاي الساخن على نورها المتراقص.»

قالت ميريندا بارتياح لتغير دفة الحديث: «طبعاً ستعمل، كما انه لن يتراقص نورها وبامكانك ان تطالع كتاباً على ضوئها.»

تناول مصباحين وهو يبتسم لها فشعرت بالدفء لتلك الابتسامة.

«لكنني لا اريد المطالعة، اريد سهرة لطيفة نتجاذب معاً الاحاديث المتنوعة، وقد يتكلم كل منا عن حياته الخاصة.»

ضحكت ميريندا بلطف وقالت: «انت تبالغ في ذلك.»

ثم دخلا إلى غرفة الجلوس التي أحكمت اقفال نوافذها كبقية نوافذ البيت، فاضطربت ميريندا عندما سمعت الاصوات التي تصدر عنها بفعل الرياح العاتية، فسألته: «الا تشعر انت بالخوف؟»

«لقد اعتدت على مواجهة العناصر الأربعة وحسب اعتقادي هناك حالات اخرى تدفعنا إلى الخوف منها.»

جلست ميريندا على المقعد الطويل وقالت: «هل تعني حياتنا الخاصة؟»

لم يجبها في الحال، ولكنه قال بعد قليل: «لا اعتقد ذلك.»

فقالت ميريندا مندهشة: «آه، لم أكن اعني عن الأمور السرية منها.»

«الأمور السرية، ليست بمشكلة يا ميريندا، انما ما يأتي وراءها. الاشياء التي تريدينها والتي تشعرين بها، والاشياء التي لا تقرين بها حتى لنفسك.»

نظرت إليه وقالت: «أنا لا أُخفي ما أشعر به.»

فقال لها مداعباً: «آه، لكنك تفعلين ذلك. فإذا كنت خائفة، عليك ان تظهري ذلك. اصرخي عالياً وعاتبيني لأنني جئت بك إلى هذا المكان منذ البداية، اضربيني إذا شئت. أفصحي عن مشاعرك وانا متأكد انك ستتخلصين مما تعانين منه. ولكن عندما لا تفعلين ذلك ستسببين بها

لنفسك مشاكل لن يمكنك ان تتخلصي منها في المستقبل.»

رأت اللطف في نظراته، ولمست الدفء في كلامه بالرغم من نبرة صوته الباردة. فقالت بحذر: «ولكنني اعتقد بأن المرء قد يكون افضل حالاً في المستقبل ويحل مشاكله بروية، اذا لم يستطع معالجتها الآن.»

فكّر قليلاً قبل ان يجيب: «ولكن اذا كنت خائفة يمكنك ان تصرخي على الأقل.»

«الحق معك من هذا القبيل، انما لديّ مشاكل أخرى، لا يمكنني معالجتها الآن.»

قال بول عند ذلك: «اعرف، فلا حاجة لك لأن تعلميني بذلك. لماذا في اعتقادك..؟» ثم توقف فجأة عن الكلام وقد لاحظ التوتر في ملامحها، ثم تمتم بكلام لم تفهمه وتوجه إلى المصباح ليعالج الفتيل.

«لا تحاولي ان تقولي لي انك تجيدين التصرف يا ميريندا، خاصة وقد عشت حياة غريبة.»

اخذت تنظر إليه والألم يعصر قلبها، انه يعاملها كطفلة، ولكنه لا يستطيع ان يفهم انها ترفض تلك المعاملة. فقالت له: «لا تكن لطيفاً معي يا بول.»

بقي ساكناً يعالج المصباح ثم قال بقرف: «انني آخر رجل في العالم يكون لطيفاً مع اي كان وانت تعرفين ذلك. فهذا لا يعني انني اتصرف بلطف مع مراهقة وحيدة مثلك، عندما اقول لك، لا تكتمي مشاعرك.»

شعرت ميريندا بوخز الابر من كلامه وقالت: «انني لست بمراهقة وحيدة، أهكذا تراني؟»

قال دون ان ينظر إليها: «نعم، وهذا لا يحتاج إلى تفسير.

ولكن، كيف لا تكونين كذلك وانت وحيدة في ذلك المبنى وتعيشين مع والد مختل عقلياً؟»

أجابت ميريندا بجهد: «ولكن كان هناك التلاميذ الذين كانوا يأتون لأعلمهم.»

قال بلطف: «ولكنهم كانوا يتركونك بعد ذلك لشؤونهم وتبقين انت وحيدة، فلا تتظاهري امامي عكس ذلك يا ميريندا. لقد سبق واخبرتني عن وحدتك، فهذا قاسم مشترك بيننا.»

اعترضت قائلة: «لا اعتقد...» توقفت عن الكلام عندما رأته يتقدم نحوها بنظرات حادة ويقول: «لا تعتقدين؟»

نظرت ميريندا في وجهه الغاضب بخوف، ثم بلعت بريقها، فقال لها بحدة: «لا تفعلي ذلك.»

جفلت ميريندا واحتارت بالذي يقوله لها، فاحكم السيطرة على نفسه وقال: «اسمعي يا ميريندا، لا داعي لأن تخافي مني مهما قالوا لك عني.»

شعرت بالألم من جديد في قلبها ولم تستطع ان تاتي بأية حركة، أو ان تتفوه بأية كلمة. نظر إليها قائلاً: «هل تفهمين ما اعني؟»

قالت ميريندا بشجاعة: «تعني انك لن تحاول اغوائي؟ هذا عظيم، خاصة في هذه الظروف التي تجمعنا.»

حدّق في وجهها بعينين ضيقتين، بينما تابعت تقول: «لكنني لست غبية، ولو انني كنت امرأة جذابة لما قلت لي هذا الكلام.»

تنفس بعصبية ثم قال: «هذا مما يدل على انه ليس لديك فكرة بعد عن اولوياتي.»

نظرت إليه بتحدٍ وقالت: «انني اكوّن احكامي على البراهين التي اراها نصب عيني.»

لمعت عيناه بوميض غريب وضحك بخشونة ثم قال ساخراً: «البراهين التي جمعتها بنفسك؟»

تورد خدا ميريندا وتابع يقول: «وانا الذي اعتقدت بأنني وبطريقة لا عيب فيها، انني حذرتك من نفسي إن كنت تذكرين.في هذه الحالة، يجب ان اثبت عكس البراهين التي كونتها، ومن افضل مراهقة قليلة التجارب لتصدر حكمها عليّ.»

كانت ميريندا في حالة ذهول تام، وحاولت ان تبتعد عنه عندما بدأ يتقدم نحوها وتابع يقول: «ليس لديك فكرة، اليس كذلك؟»

«ما... ماذا تعني؟»

شعرت ميريندا بخوف شديد من الغضب الذي كان يتطاير من عينيه وقالت: «خطأي انني قلت لك بأنني اكوّن احكامي من البراهين التي اراها نصب عيني.»

نظر إليها بحدة ولكنه لم يرد على كلامها

الفصل التاسع

شعرت في داخلها بجرح عميق، انها تحب هذا الرجل، ولكن ليس من قواسم مشتركة تجمع بينهما، لقد قال ذلك بنفسه عدة مرات. انما الذي يجمع بينهما، هو ما ينذر به ذلك النهر بالفيضان، وعندما يعود إلى حالته الطبيعية، سيبعدها عنه حتماً.

علا صفير الرياح في الخارج وكأنها تنذر بالشؤم، فأخذت ميريندا ترتجف خوفاً، ابتعد قليلاً وقال يطمئنها: «لا تخافي، انا اعلم ان هذه الرياح ترجف المفاصل، ولكنها ستذهب بسلام.»

هبّت الرياح اعنف واقسى، مما جعل نور المصباح يتراقص ويرسل ظلالاً مخيفة على الجدران. فعادت ميريندا ترتجف من جديد انها لم تشعر بالخوف مثل هذه المرة، فسألته: «هل انها حقاً ستمر بسلام؟»

«نعم، وبعد ذلك سيعود النهر إلى حالته الطبيعية وعندها تتمكنين من العودة إلى الحضارة لتعيشي حياتك من جديد.»

عضّت على شفتها وقالت: «لقد مرّ علي وقت طويل لم احيا فيه في الحضارة كما تسميها، ولا ادري كيف سأواجه الأمر.»

قال لها بشرود: «ستتمتعين بها.»

«صحيح؟»

اجابها بعزم: «طبعاً، وستعوضين عن كل ما فاتك،

خاصة لمصادقة من هم في سنك. وسترتدين الملابس الانيقة، وإلى ما هنالك.»

ابتسمت بألم: «اهذا ما تريده مني يا بول؟»

اجابها: «انني احاول ان اسدي لك نصيحة، خاصة وانني قد خبرت الدنيا اكثر منك. انك بحاجة لتفردي جناحيك وتختبري الحياة وما فيها.»

خيّم صمت بارد في الغرفة، كما ان الرياح هدأت نوعاً ما في الخارج، إلى حد ان ميريندا استطاعت ان تسمع انفاسها المتلاحقة، ثم قالت: «معك حق.»

«انك لا تصدقين كلامي الآن، ولكنك ستفعلين في يوم من الايام وتعرفين كم انني كنت على حق.»

«ربما.»

تهيأ للتقدم نحوها، ولكنه توقف فجأة وقال: «ليس ربما، بل من المؤكد.»

قالت بجفاف: «أنا أعرف أكثر مما تظن، فما الذي دعاني للانضمام إلى والدي في البداية في اعتقادك؟»

ضاقت عينا بول وقال: «صداقتك لأحد الاشخاص لا تعني انها منحتك خبرة كافية.»

شعرت ميريندا فجأة بغضب شديد، فزمت شفتيها وقالت: «انك مقتنع أنك تملك اجوبة لكل شيء، اليس كذلك؟ ولكنك وفي هذه الحالة، انت على خطأ ذريع. لقد كنت صغيرة السن فعلاً ولكنني لم اكن غبية، وقد كان لي صديق وعدني بالزواج، فسررت لذلك لأنني لم اكن سعيدة في بيت خالي، خاصة انه بعد وفاة والدتي، لم يعد احد يرغب في وجودي عنده، شعرت عند ذلك بوحدة قاتلة، لكن كايت استطاع ان

ينتشل هذا الشعور من صدري ووعدني بالزواج. فصدقته.»

قال بول عند ذلك: «فما الذي حدث اذاً؟»

تنهدت ميريندا وقالت: «لقد كان كايت صغير السن ايضاً ولم تكن حالة عائلته المادية جيدة، والبيت الوحيد الذي يملكونه، كان على وشك ان يتداعى تحت أنظارهم. وفي النهاية كانت الفائزة الوحيدة قريبتي كلير، لذا فإنها...»

«هل تزوج من كلير؟»

«نعم.»

«وهل هذا الذي جعلك ترحلين إلى غابة الامازون؟»

قالت بجفاف: «نعم، يمكنك ان تقول ذلك.»

«وهل عرف هاري بهذا الأمر؟»

نفت ميريندا بحركة من رأسها وقالت: «كلا. لم يعرف احد بهذا الأمر سوى كايت وانا، وانت الآن بالطبع.»

بقي بول ساكناً، فتابعت ميريندا بألم: «لم يكن هناك من صديق إلى جانبي كي اتحدث إليه وافضفض عن نفسي له، فقد بقيت والدتي مريضة لسنوات عديدة قبل ان تتوفى. ولم تعد الأمور حسنة بيني وبين عائلة خالي.»

قال بول وقد قدر موقفها: «لا حاجة لأن تقولي لي اكثر مما قلت. فقد مر علي اوقات عشت فيها اتنقل كل اسبوع الى بلد مختلف، لأن والدتي لم تكن في حالة استقرار دائمة، ثم قرّر والدي ان يدفع لي اقساط الجامعة وارسلني إلى الولايات المتحدة... إذاً، الذي دفعك للمجيء إلى هاري لاين، طلبك للاستقرار والحنان... ولم تحصلي عليهما، اليس كذلك؟»

عضت ميريندا على شفتها بألم ولم تجب عن سؤاله.

تنهد بول بعمق وقال: «ما هذه الفوضى؟ إذاً، لن يكون لك مكان في ما لو رجعت إلى بريطانيا.»

نظرت إلى البعيد وقالت بألم: «لا.»

ظهر على وجهه الفضول وقال: «اتساءل في ما لو تكون بيبل قد اخطأت في اعتقادها.» وسمع في تلك الاثناء تكسر احد الاغصان الذي منع ميريندا من ان تطلب منه توضيحاً لما قاله.

فسألت مرتجفة: «ما هذا؟»

«انه صوت تكسر غصن من الاغصان في الحديقة، لكن لا أظنه سيهوي على المنزل. فقد تنبهت جدتي إلى هذا الأمر وعرفت اين يجب ان تزرعها. فلا تخافي، اننا في امان. لِمَ لا تذهبين إلى فراشك وتنسين هذا الأمر؟»

ارتجفت ميريندا وقالت: «انسى هذا الأمر؟»

«معك حق، فهذا ليس بالاقتراح الجيد. اجلسي الآن وسآتيك بعصير منعش يهدىء اعصابك.»

جلست كما اشار إليها، وذهب ليعود بصينية عليها ابريقاً من العصير وكوبين، ثم قال: «هل تلعبين الشطرنج؟»

نفت ميريندا بحركة من رأسها، ثم بحركات متتالية بينما تابع يسألها: «الداما، سكرابل؟» شعرت فجأة بالغضب وقالت: «انا لست طفلة لكي تبعد الهواجس التي في رأسي وتلهيني بإحدى هذه الألعاب.»

قال بحدة: «ومن قال لك انني لا احاول بذلك ان ابعد الهواجس عن رأسي انا، خاصة انه هناك مخاطر اعظم تنتظرنا هذه الليلة.»

جفلت ميريندا وقالت: «اتمنى لو انك لا تتفوه بأمور كهذه.»

«اتكرهين قول الحقيقة يا ميريندا؟»

نظرت إليه وقالت بهدوء: «لم أكن أعني ذلك، انما لا احب ان تتلاعب باعصابي.»

فقال بسرعة: «آسف لذلك.»

تنهدت ثم قالت تغيّر الحديث: «اخبرني كيف توصلت إلى ان تقيم ابحاثك هذه؟»

نظر بول إليها غير مصدق في البداية ثم ضحك بلطف وقال: «هل تريدين تأكيداً للشائعات؟»

سألت ميريندا وهي لا تدرك ماذا كان يعني: «ما... ماذا؟»

«حسناً، سأقول لك. ما سمعته كانت الحقيقة بعينها، لقد ترك لي جدي الفازندا لأنه اعتقد ان والدي سينبذني، بالرغم من محاولتي لاغواء امرأة اخي.»

ذهلت ميريندا وقد تهيأ لها في البداية انها لم تسمع جيداً، وتابع يقول: «انما القصة لم تكن كقصتك مع كايت، لم أرد خيانة اخي توماس، فقد كنت صغير السن ومثالي كما انت عليه الآن ولم اقصد سوى الحلال في الزواج منها.»

فعلقت ميريندا قائلة: «وهل صغار السن والمثاليون يتزوجون فقط؟»

ضحك بلطف لقولها ثم قال: «مع انني اعتقد بأن المتهور والطائش وحده يطلب الزواج من بيانكا.»

«كيف كانت تبدو؟»

«رائعة الجمال، انما لم تكن لطيفة مع من كان يتقدم للزواج منها.»

ابتسمت ميريندا وقالت: «وهل طلبت الزواج منها؟»

اجابها بول: «في البداية، نعم.» وتابع بلا مبالاة: «على

اية حال، كان عليّ ان افهم انها لا ترغب في الزواج مني، مع اننا قضينا اسعد الاوقات نتنزه في الجبال وعلى الشواطىء. لكنها بعد ذلك اختارت اخي من ابي لتتزوج منه.»

ولدهشتها، شعرت ميريندا بالشفقة عليه وسألت بصوت مخنوق: «ألم...»

قاطعها بحرقة: «لكن يجب ان تعرفي الناحية السيئة عندي.» توقف عن الكلام قليلاً وكأنما هذه الذكريات تدمي قلبه، ثم تابع: «حاولت اقناعها في ان تغير رأيها وتعود إليّ، لكن اخي توماس كان ثرياً وقد يحقق كل مطالبها، وبعد توسلاتي لها قالت انه يمكننا ان نستمر في رؤية بعضنا البعض، فكان هذا الأمر سهل التنفيذ خاصة انها تزوجت من اخي.»

هزّت ميريندا برأسها بعصبية وخوف لهذا الأمر غير المألوف، وقالت: «وهل رفضت طلبها؟»

«كلا بل حاولت في البدء ان اثنيها عن الزواج منه.»

نظرت ميريندا إلى وجهه المتأثر وتساءلت، مسكين، لأي مدى كان يتعلق بها.

وتابع يقول: «لكنني لم انجح في اقناعها، لذلك فاتحت توماس بالأمر، ولكنه لم يصدق كلامي. إلى ان قرر جدي ان يتدخل في هذا الأمر، فجاء بتوماس إلى شقتي وكانت بيانكا موجودة هناك.»

كان بامكان ميريندا ان تتصوّر ما حصل، لذا سألته: «وماذا حصل بعد ذلك؟»

«آه، لقد طردت من بيت العائلة واهنت بقسوة لتصرفي الشاذ ونبذت تماماً منهم. حتى ان والدي توقف عن دفع

اقساط الجامعة، فاضطررت للعمل لاحقق ما يتوجب علي. وعندما توفي جدي، ترك لي هذه المقاطعة.»

قالت ميريندا ببطء: «لقد كنت تحبها اليس كذلك؟ وهذا يدل على انك ضحيت بمبادئك من اجل الحب.»

«مبادئي؟ ما الذي يجعلك تعتقدين بأن لي مبادىء؟»

تصلبت اعضاء ميريندا لقوله وقالت: «أنا لا احكم على احد باستنادي إلى ما يقوله الآخرون عنه. لقد عرفتك منذ اقل من أسبوع، ووجدتك ذلك الانسان الطيب الذي يهب لمساعدة الجميع دون استثناء، ولم اجد فيك ذاك الشرير الذي تتكلم عنه.»

ضاقت عيناه وقال: «هذا حكمك النهائي عليّ؟»

اجابته بحزم: «نعم، ولي ملء الثقة في ذلك.»

«وهل يسمى ذلك حكماً ام غريزتك تنبئك بذلك.»

جلس قريباً منها، وتابع يقول بتكاسل: «من غير الحكمة ان تثقي بغريزتك، خاصة عندما يكون الأمر يعنينا نحن الاثنين.»

جفلت ميريندا وشعرت فجأة ببرودة كلامه، وكأنه لمسها ليحولها إلى صخر جامد.

تسارعت نبضات قلبها وطال الصمت بينهما، اخذت تراقب سكونه، فأدركت ان ذكرياته المؤلمة عادت إلى فكره، حتى بدا مكفهراً عابس الوجه وكأنه في عالم بعيد جداً عنها. اذاً، هذا هو مثال الوحدة التي كان يتكلم عنها، وسببها بيانكا التي ابعدته عن عائلته وهي مازالت لاتفارق خياله، فشعرت ميريندا بقلبها يعتصر ألماً عليه.

سمع في تلك الاثناء صوت تحطم غصن آخر جعل ميريندا تصرخ بخوف واعاد بول إلى الواقع.

فأسرعت ميريندا تقول: «آسفة.»

وقف بول وقال: «لا داعي لذلك. اعتقد ان هناك شيئاً حصل في الغرفة الأخرى، ابقي هنا.» واسرع يخرج من الغرفة، فحملقت به ميريندا بعد تردد بسيط.

لقد سقط غصن هائل على النافذة فكسر مصراعيها ورمى باحداهما إلى أرض الغرفة، كما ان العاصفة الهوجاء فتحت باباً خارجياً، اسرعت ميريندا وحاولت بكل قوتها لتقفله من جديد، ولكنها شعرت ان الرياح تدفعها هي الاخرى، فأطلقت صوتاً مزعجاً مما جعل بول يلتفت إليها ويقول شيئاً ما لم تتبينه، فتقدمت منه.

صرخ في وجهها: «اذهبي إلى القسم الآخر من البيت.»

لكن نظر ميريندا كان مركزاً إلى خارج النافذة فمدت يدها تشير قائلة: «هناك شخص ما في الخارج.»

«ماذا؟»

كان هناك فعلاً شخصاً منحنياً في ممر الحديقة، شاهده بول وبدأ يتمتم بكلام غير مفهوم. ثم سقط غصن آخر قرب النافذة، فابتعد وقال: «مهما كان، فأنا لن ادعه في الخارج.»

صرخت ميريندا به وقالت: «لا تذهب إلى الخارج فستقتل.»

«سأحافظ على نفسي.»

«لا.»

«انني مضطر لذلك، ولا احد سواي يقوم بهذا العمل. فالمسافة ليست بعيدة، هناك حبل في الاسطبل قد يؤدي إلى تلك المسافة، سأربطه بنفسي.»

فقالت ميريندا مرتجفة: «لا تذهب، لئلا تصاب انت الآخر.»

لم يرد بول على الحاحها وسحبها من يدها بقوة قائلاً: «اذهبي إلى مكتبي، انه اكثر اماناً.»

لكن ميريندا قالت بعناد: «سأذهب معك.»

ضحك بخشونة وقال: «لا تستطيعين ذلك. فالعاصفة ستطيرك بلمح البصر، على اية حال هناك حبل واحد فقط.»

«اذاً، سأربط طرفه الآخر بنفسي.»

«انك لست قوية بما فيه الكفاية. يجب ان اربطه بشيء متين وصلب في هذا البيت.»

فقالت ميريندا بعناد وعزم: «لن اتركك تقوم بهذا العمل بمفردك.»

نظر إليها بشك ثم قال: «حسناً، يمكنك ان تبقي إلى جانب الحبل المعقود لتتأكدي من انه مازال مربوطاً جيداً، لكن في هذه الاثناء، ابقي هنا ولا تتحركي.»

خرج وعاد بعد خمس دقائق وهو يحمل حبلاً طويلاً، وعقد احد طرفيه إلى وسطه بينما كانت ميريندا تنظر إليه بشك وريبة.

ثم قالت: «بماذا ستربط طرفه الآخر؟ فكل شيء في هذه الغرفة يبدو منزلقاً.»

ضحك بول بلطف وقال: «هنا يكمن التحدي.»

نظرت إليه ميريندا باشمئزاز وقالت: «أترى الأمر مسلياً؟»

لمعت عيناه وقال: «استمتع بانواع التحدي كهذه، وكذلك انت، اليس كذلك؟»

انزعجت ميريندا من كلامه وأشاحت بنظرها عنه، ولكنها

عندما عادت تنظر إليه، وجدته قد ربط الطرف الآخر من الحبل في درابزين الدرج الذي يؤدي إلى الطابق الأعلى ثم قال: «سيكون هذا الأمر مزعجاً ولن نتمكن من اقفال الباب بالطريقة المناسبة. لذا، عليك ان تضعي كل ثقلك لتبقيه مغلقاً إلى ان اعود.»

ارتعبت ميريندا خوفاً عليه، فتقدم منها ووضع يده على كتفها يطمئنها قائلاً: «سينتهي كل شيء في غضون عشر دقائق، هيا الآن، وحاولي ان تقفلي الباب بكل قواك.»

وقبل ان تتفوه بكلمة، كان قد خرج، ولم يكن لها خيار في ذلك سوى ان تمتثل إلى اوامره وقد شعرت انها اطول عشر دقائق انتظرتها في حياتها، ذلك لأنها لم تقو على النظر إلى ساعة يدها من شدة الظلام. كانت الرياح خلال ذلك تصفر بشدة وكأنها زئير أسد جائع، فتابعت تسد الباب بكل ما اوتي لها من قوة، وتتمنى من صميم قلبها ان يعود بول بسلام.

بقيت على هذا الحال تدعو وتتمنى حتى يعود سالماً إليها لتقول له بأنها تحبه.

ادركت وهي في اعماق افكارها، انها قالت لنفسها مسبقاً بأنها تحبه، لكن ليس بهذا التأكد والثقة مثل هذه المرة، وذلك لأنها كانت خائفة من ان يصيبها معه كما اصابها مع كايت.

تنهدت بعمق وشعرت بسلام ومحبة تغمر كيانها بالرغم من المجهود الذي تقوم به لتسد الباب. ثم اسندت رأسها إلى الباب وقالت مبتسمة: «الذي يجب ان افعله الآن، هو ان اعترف له بأنني احبه.»

الفصل العاشر

توقفت ميريندا عن التفكير عندما سمعت ضجة اخرى غير صفير الرياح، فابتعدت عن الباب وفتحته لتفسح المجال لبول بالدخول. كان يحمل فتاة على كتفه وقد تبللت بمياه الامطار.

وعندما اصبح في الداخل، اسند الباب بظهره وتعاون مع ميريندا على اقفاله جيداً.

كانت الفتاة التي جاء بها تكبرها بسنوات قليلة. وقد بدت وكأنه خلصها من البحر وليس من العاصفة، لقد كانت مغمضة العينين طوال الوقت.

تكلم بول اخيراً وقال: «انها إيلينا صديقة روبم، جاءت إليه بينما كان هو يسعى إليها.»

اضطربت ميريندا قليلاً لكلامه، ولكنها لم تنزعج كلياً وقالت: «سأعتني بها، بينما انت تذهب لتبدل ملابسك المبللة بملابس جافة قبل ان يصيبك المرض.»

ابتسم ابتسامة واسعة وقال: «نعم، يا سيدتي.» وأسرع بالذهاب إلى غرفته بخطوات واسعة.

أخذت ميريندا الفتاة إلى المطبخ وظلت تسقيها الشاي الساخن، إلى أن بدأت تشعر بالدفء وعادت إليها حواسها. ولكنها انذهلت في البداية لوجودها مع ميريندا، ثم اصابها الهلع والخوف على روبم. ولكن عندما عرفت انه ركب الشاحنة وعاد إلى القرية وانه من المؤكد سيكون بخير، اطمأنت وهدأ بالها عليه.

ساعدتها ميريندا في الدخول إلى غرفة قريبة من المطبخ، لتضعها في السرير. وما كادت تخرج من الغرفة، حتى استغرقت الفتاة في نوم عميق. لكن ماذا عن بول؟ تساءلت بينها وبين نفسها، هل تحبينه ام لا؟ وهل يخفى الأمر، كما وانه لا داعي لطرح مثل هذا السؤال. ذهبت بعد ذلك إلى غرفة الجلوس وجاءت بأحد المصابيح، وحاولت ان تفحص نفسها على ضوء المصباح ولم يعجبها ما رأته. خاطرت بنفسها وصعدت إلى غرفتها في الطابق الأعلى، وتناولت الفستان الذي استعارته من بيبل وارتدته.

كانت تعرف جيداً اين غرفة بول، مع انها لم تدخلها مرة منذ مجيئها إلى الفازندا. كانت غرفته تقع في الطابق الأرضي وفي آخر الرواق ولها باب ضخم، فتحته بهدوء، لتجد الظلام يلف الغرفة كلياً، يبدو ان بول ليس في الغرفة.

عادت واقفلت باب الغرفة وتساءلت، ماذا جئت افعل هنا؟ ماذا لو طردها او عاد يعاملها كطفلة؟ ولكنها تحبه، قالت لنفسها ويجب ان تقول له ذلك، ثم ابتعدت عن باب غرفته وعادت إلى غرفة الجلوس فوجدته يجلس على ذلك المقعد الطويل.

كان يجلس بهدوء وقد غابت عن عينيه فرحة الانتصار للمغامرة التي قام بها ليخلص إيلينا.

تمتمت ميريندا: «لقد جئت قبل الآن إلى هنا، لكنني لم اسمع لك صوتاً ولم اعتقد انك ربما تكون هنا.»

قال بهدوء: «صحيح؟» وكان قد غيّر ملابسه بملابس جافة.

«نعم، أنا...»

فسألها: «ماذا تريدين يا ميريندا؟»

بلعت بريقها تفكر بجواب معقول: «اعتقدت انك بحاجة للمساعدة.»

اجاب بلطف: «مساعدة؟»

اجابت علماً منها ان ما ستقوله سيكون سخيفاً: «ربما قد تكون بحاجة إلى شراب منعش، فهل ترغب بذلك؟»

«ربما يمكنك ان تقومي بذلك عندما تنهار كل قواي. ولكن وكما ترين...» ثم اشار إلى الطاولة وتابع يقول: «هناك ابريق ملآن من الشراب الساخن.»

اشاحت ميريندا بنظرها عنه وقد شعرت بالحرج، ثم قالت: «هل يمكننا ان نتحادث؟»

اجابها: «وما هو الموضوع الذي تريدين التحدث به؟»

بقيت ميريندا تشعر بالخجل وقد توردت وجنتاها اكثر فأكثر، ثم اخذ قلبها ينبض بسرعة من الموقف الذي زجت نفسها فيه، بينما اخذ ينظر إليها نظرات ساخرة، إلى ان نهض عن المقعد بحركة سريعة. وقفا يواجهان بعضهما البعض وكأنهما خصمين، هذا ما اعتقدته ميريندا.

ثم قال اخيراً: «لا اعتقد انني في حاجة لاعرف منك عما تريدينه بالضبط.»

اخذت ميريندا تبحث في وجهه لتجد سبباً من الاسباب في معاملتها بهذه الطريقة، ولما وجدته خالٍ من اي تعبير، استجمعت قواها وهي راسمة شبه ابتسامة على شفتيها وقالت بلطف: «اذا كنت حقاً تعرف ما اريده، فلا لزوم ان اقوله لك.»

قال بخشونة: «انك لا تفهمين شيئاً، فلا تحاولي ان تتلهي.»

«أتظنني الهو يا بول؟»

«اذهبي إلى الفراش يا ميريندا، فأنا لا اريدك هنا.»

لاحظت في عينيه الغضب الشديد ثم كرر قائلاً: «اخرجي من هنا.» واشار بيده نحو الباب بعصبية.

شعرت ميريندا عند ذلك بأنه يعني ما يقوله. أخذت ساقاها ترتجفان لدرجة انها لو ارادت ان تتحرك من مكانها لما استطاعت. ثم همست: «لن اخرج.»

«انني اعني ما اقوله يا ميريندا، اخرجي حالاً.»

رفضت بحركة من رأسها، فتفوه باسمها بلطف: «ميريندا.»

فقالت: «لا تطردني.» خرجت كلماتها مرتعشة وكأنها طفلة صغيرة. وتابعت تقول: «ارجوك لا تطردني.» ثم اغرورقت عيناها بالدموع.

فصرخ بأعلى صوته: «قلت لك اخرجي من هنا.»

شعرت ميريندا بالانهيار لخشونته معها، وكأنها كانت تتسلق جبلاً عالياً وسقطت فجأة من قمته.

ثم تابع بخشونة ايضاً: «ابحثي لك عن شاب من سنك يا ميريندا.»

«ولكن...»

«فأنت لست ناضجة بعد يا ميريندا.»

«ارجوك توقف عن الكلام معي بهذه الطريقة.»

كانت الرياح تصفر بشدة في الخارج، فأخذ ضوء المصباح يتراقص لذلك، بينما خيّم عليهما الصمت.

ولكنه قال اخيراً وبهدوء: «حسناً، سأتوقف عن ذلك. ولكنني اريدك ان تذهبي إلى الفراش وتحاولي ان تنامي.»

قالت بهمس: «اريدك ان تكون سعيداً.»

التقت نظراتهما ببعضهما البعض ثم قال بهمس: «آه، يا عزيزتي.»

فقالت بيأس: «هل فعلاً يتوجب علينا ذلك؟»

قال مفكراً: «اخبريني ما القصد من مجيئك إلي؟ غير انك اردت ان تحضري الشراب الساخن؟»

تمتمت: «انك تعرف.»

«اعتقدت ذلك.»

هزّت بكتفيها دون مبالاة بينما كان يتنهد، ليقول: «ربما يتوجب علي ان اقول لك.»

بلعت بريقها محتارة في ما تجيبه، وتابع يقول: «اعتقد انني اخطأت في حقك. في الواقع، بيبل اخطأت ايضاً، فيا ليتك سمعت ما قالته بيبل عنك من انك لازلت صغيرة السن.»

تعجبت ميريندا وقالت: «بيبل؟»

«قد لا نكون متحابين، انما الذي يجذبني إليها، ذكاؤها وطيبتها. لا تتصوري كم كانت قلقة لبقائك معي، ولم توافق على ذلك، الا عندما علمت انني اريد ذلك، لاهتم بك بعد موت هاري.»

ظهرت علامات التعجب على وجه ميريندا وقالت: «اردت ان تهتم بي، لا اعتقد انك كنت ستفعل ذلك.»

صحّح كلامها بلطف: «لكنني فعلت.» ثم تقدم منها. وتابع بلطف: «بصراحة يا عزيزتي، لم اعتقد بأنني قد احب مرة اخرى، حيث انني فشلت في المرة الأولى. كما انه لم يخطر ببالي انني سألتقي بامرأة مثلك.»

اخذت ميريندا ترتجف، فتنحنحت ثم قالت: «ماذا تقصد بقولك امرأة مثلي؟»

«لطيفة، شجاعة بريئة، وفوق كل ذلك تتمتع بروح مرحة.» أغمضت ميريندا عينيها وهي لا تصدق ان الحلم قد اصبح حقيقة. وتابع يقول: «لم تجيبي بعد يا ميريندا عن سؤالي.»

«سؤال؟»

«لماذا اتيت إليّ هذه الليلة؟»

اخفضت ميريندا بنظرها وشعرت انها عاجزة للردّ عن سؤاله، ولكنه نظر إليها بلطف وقال: «كان عليّ ان اصغي اليك، لا لبيبل. فأنت كما قلت لست بطفلة.»

توردت وجنتا ميريندا واغرورقت عيناها بالدموع من السعادة. تأملها بلطف وقال: «انني لم التقِ بامرأة صادقة مثلك يا عزيزتي... هل يصعب عليك ان تجيبي عن سؤالي؟ هل يسعدك لو قلت لك انني أحبك؟ وانني احببتك منذ ان شاهدتك للمرة الأولى وانت تعتمرين تلك القبعة السخيفة، وتحاولين الادعاء بأنك صبي.»

قالت اخيراً: «لكنك كنت مع بيبل في غرفتها.»

«لن اكذب عليك يا عزيزتي، عندما تعرفت على بيبل كانت تعاني من الوحدة ورضيت ان تعمل معي. كانت تعتقد بأنها تحبني، ولكن هناك فرق شاسع بين الوحدة والحب، افهمتها ذلك بصراحة، فتحولت بعد ذلك إلى هايتر دو كامبو.»

دهشت ميريندا وقالت: «هايتر؟ اذاً سبب قلقك وانفعالك ذلك اليوم، يعود إلى هايتر لأنه كان مصاب؟ آه، كم كنت غبية.»

«بيبل ليست سوى صديقة لا اكثر، والحبيبة الوحيدة

التي اريدها هي انت، وليساعدني الحظ عليك وعلى عنادك وشكوكك.... والآن هل تتزوجين مني؟»

اتسعت عينا ميريندا وقالت: «لا يمكنك ان تتزوج مني.»

«نعم، يمكنني، ويجب ان توافقي فأنا اعلم كيف احملك على ذلك. ان الزواج منك يا ميريندا حاجة ضرورية لي.» توقف قليلاً ليتابع بجدية: «انك لم تكترثي لما يقوله الناس عني، وقد عرفتني على حقيقتي وفي وقت قصير، لقد احببت بيانكا ولم أكن كما قيل عني. احتاج إليك في حياتي المستقبلية يا ميريندا، فاقبلي بالزواج مني وابقي معي إلى الأبد.»

تنهدت ثم قالت: «نعم سأبقى معك إلى الأبد.» وشعّ وجهه عند ذلك بسعادة لا توصف، فابتسمت له واعترفت بما كانت تريد ان تقوله من قبل ولم تتجرأ «احبك يا بول.»

تمـــت